

كتب للجميع



# بلا دموع

## ذكريات كريشنا نهرو

سعد لبيب

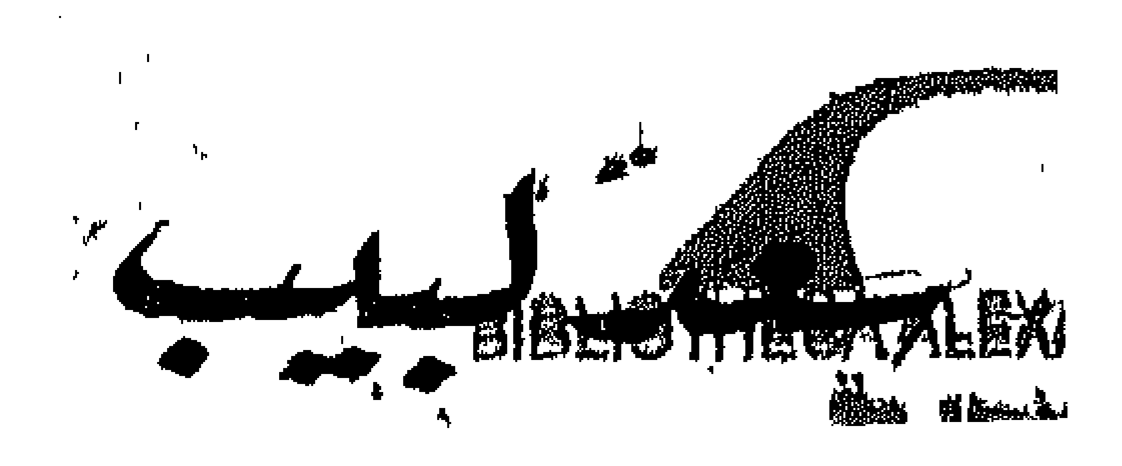
العدد ١٣٢ — سبتمبر ١٩٥٨ — ١٠

كتب للجميع

سبتمبر ١٩٥٨

# بلا دموع

## ذكريات كريشنا نهرو



## كلمة الكتاب

بقلم : احمد حمروش

# نحو وحدة حقيقية

## بين شعوب إفريقيا وآسيا

ان روابط المصالح السياسية والاقتصادية بين الدول الافريقية والآسيوية ، والمواقف المشتركة ، ووحدة الكفاح ضد الاستعمار ، لابد وأن تتدعم بألوان من المعرفة المشتركة المتبادلة فى مجالات الثقافة والادب والفن . فعلاقة المعرفة المشتركة هى الرابطة الحقيقية بين الشعوب وهى تذهب بالوحدة السياسية الى مستويات نفسية أعمق حيث تلتقى العواطف بالعواطف ، وتتجانس المشاعر فى كيان مشترك موحد .

ومن واجبنا أن نعرف كل شىء عن هذه الشعوب ، شعوب افريقيا وآسيا ، خاصة وأن الاستعمار والحكم الفاسد الذى جثم على صدورنا طوال السنين الماضية كان يقف حجر عثرة فى سبيل أى تعرف حقيقى أو تقارب فكرى بيننا وبين هذه الشعوب .

والواقع أن أى جهد يبذل فى هـذا السـبيل لا تقتصر قيمته على الثقـافة المشـتركة التى يحققها ، بل يعتبـر أسـاسا متينا للتقـارب السـياسى والالتقاء الشعبى .

والهنـد بالذات تربطنـا بها أكثر من رابطـة ، ونلتقى معها فى أكثـر من ميـدان ، وتتشـابه ظروف شعبنا مع شـعب الهنـد فى الكفاح ضـد الاسـتعمار البريطـانى الذى اسـتعمل فى كلا الحالين أسـاليب واحـدة فى كبت الحـركات الوطنية واستنزاف اقتصـاد البـلاد ، وفـرض التأخر والجهـل .

ولا يمكن أن تذكـر الهنـد ولا يذكر نهـرو .. تلك الشـخصية العالميـة التى لعبت دورا خطـيرا فى المحافظة على السـلام العـالمى .. ولقد تبلور نشـاط نهـرو السـلامى فى اشـتراكه مع الرئيس جمـال عبـد النـاصر فى مؤتمـرى باندونج وبريونى وفى الاتصـال المسـتمر والتفاهم المشـترك حول القضـايا العالميـة .

وجانـب النشـاط السـياسى عنـد نهـرو لا يتضـح الا باسـتجلاء الجانب الشـخصى من حيـاته ، وليس أقـدر على هـذا من أختـه (( كريشـنا نهـرو )) فى اعطاء صـورة واضـحة عن هـذا القطـاع ، فهى قـد عاشـت معـه طـوال طفولتهما ثم اشـتركت معـه فى الكفـاح

الوطنى ، وعملت فى فترة من الفترات كسكرتيرة خاصة له . ولقد ذاقت معه مرارة السجن وقسوته . وعندما سجن أخوها وزوجها وبقيت هى وحيدة فى بيتها كتبت (( بلا دموع )) وبلا أسف أو حزن هذه المذكرات الدقيقة الجميلة عن حياة زعيم الهند .

وفى هذا الكتاب نلتقى أيضا بالزعيم غاندى ، نلتقى به زعيما شعبيا ، يحب الناس ويحبوه ويداعب الاطفال ، وينقشف فيقتصر طعامه على على حفنة من الارز . اننا نتعرف فى هذا الكتاب على غاندى الانسان الكبير قبل أن نتعرف فيه على الزعيم السياسى والقائد الشعبى .

ان الجهد المتواضع الذى يحققه هذا الكتاب فى سبيل ارساء قواعد الوحدة الثقافية بين شعوب افريقيا وآسيا ، يجب أن يتضاعف على مر الايام بالكتب والموضوعات التى تدور فى هذا المجال ، حتى تحقق بعض الاهداف التى يسعى اليها مؤتمر الكتاب الافريقيين الآسيويين الذى سيعقد فى طشقند فى الشهر القادم والذى سيكون بلا شك نقطة انطلاق وبداية حركة واسعة من أجل تحقيق الوحدة الحقيقية بين شعوب افريقيا وآسيا .

# مقدمة

## لشاعرة الهند الكبيرة

## ساروجينا نايدو

نادرا ما أوافق على كتابة مقدمة ولكنى عرفت كريشنا هوثيسنج منذ كانت طفلة ، لذلك فقد خضعت راضية لطلبها مباركتى لهذه المجموعة من ذكرياتها ..

لقد وضعت هذا الكتاب ـ كما تقول لنا هى ـ لتسليتها فى وحدتها خلال تلك الشهور الطوال القلقة التى أعقبت ذلك اليوم الكئيب .. يوم الأحد من شهر أغسطس(*) الذى شهد كثيرا جدا من القادة الوطنيين فى السجون .. ومن بينهم أفراد أسرتها جميعا على وجه التقريب ..

انها هنا تروى قصة حياتها الصغيرة ـ فهى ما زالت شابة حتى الآن ـ فى بساطة واخلاص تتميز بهما .. نراها تتحدث عن طفولتها السعيدة فى بيت يقوم على الثراء والجمال .. ثم عن أيام

---

(*) ٩ أغسطس سنة ١٩٤٢ . وكان ذلك عقب الاجتماع التاريخى الذى عقدته لجنة المؤتمر الهندى فى بومباى فى الثامن من أغسطس سنة ١٩٤٢ والذى عاود فيه المؤتمر مطالبته بالاستقلال القومى الكامل والانسحاب التام للقوات البريطانية من الهند مع تكليف المهاتما غاندى بالتفاوض مع الحاكم العام .. فألقت الحكومة القبض على جميع اعضاء اللجنة العاملة للمؤتمر فى الساعات الاولى من صباح اليوم التالى وتبعت هذا الاجراء بالقاء القبض على ألوف غيرهم كما شنت حملة من الضغط والارهاب لم يسبق لها مثيل من قبل .

صباها بما طرأ عليها من بعض المتاعب وشاب بعض أيامها من ثورة ·· في جو تغير عن ذى قبل تغيرا غريبا غير معقول بتأثير ذلك الرجل الهادئ المتواضع ·· المهاتما غاندى ·· وآه من قوته ·· !! فانتقلت بها الحياة من اطار زاخر بالثراء الى أرض للمعركة يعنف فيها الخلاف وتتعاظم التضحية · ثم أنها تعرض علينا لمحات من اقامتها في سويسرا مع زوجة أخيها المريضة ·· ومن رحلاتها مع والدها وأخيها الى فرنسا وانجلترا وألمانيا وروسيا ·· وتشير الى بعض الشخصيات البارزة التى التقت بها ·· ثم تقص علينا تجربتها في سجن النساء وتضع أمامنا قصة حبها وزواجها وانطباعاتها اذ تواجه طرقا جديدة من الحياة ومدنا جديدة وأجواء غير مألوفة ·· وتقدم لنا ولديها الصغيرين هارشا وآجيت اللذين اقتنعت من أجلهما بالكف عن المشاركة في الحياة السياسية ·· وتدعنا بعد ذلك نرى الاوراق تبتل من وقت لآخر بقطرات من دموع الأسى على والدها وأمها وغيرهما من الاعزاء المحبوبين ··

وقد جاءت هذه الذكريات الشخصية في نسيج من تاريخ عائلة نهرو كلها ·· ومن هنا تأتى الأهمية الخاصة لهذه الذكريات بالنسبة لجمهور القراء ·· أليس تاريخ عائلة نهرو فى ربع قرن رمزا حيا وجزءا متمما لقصة كفاح الهند فى سبيل حريتها ·· ؟

وفى هذه المذكرات البسيطة الصديقة نكتشف الرجل العظيم موتيلال نهرو ــ وأين لنا مثله من الرجال ــ وهو يقوم بدوره الممتع المحبب ·· دور الداعى الصالح والديكتاتور فى أسرته الصغيرة اللطيفة التى أحبها فى اخلاص وعمق اهتز له المهاتما غاندى وعده مزية ضخمة من مزاياه الكثيرة ·

وهنا أيضا نلتقى بجواهر ·· المجاهد العاطفى الصلب من أجل قضايا العالم ·· ممتشقا حسامه ودرعه ·· مقدما الدليل على امتيازه الذى لا يقارن فى علاقاته الكثيرة كابن وأخ وزوج ووالد وصديق ورفيق طيب للأطفال الصغار ·

وهنا أيضا نلتقى بصورة زوجته العزيزة البطلة « كمـــالا » مرسومة فى ألوان رقيقة ·· ومعها قصة حياتها القصيرة ومأســاة موتها المحزنة التى أصبحت أنشودة وأسطورة فى بلدنا ··!

ونرى سوارب ـ التى يسمونها الآن فيجايا لاكشمى ـ تشق طريقها وسط أحداث هذه القصة كأنه الخيط الفضى فى لمعانه ·· كما نلمح انديرا تعبر أمام أعيننا فى لحظة ·· فى ثياب عرسها الناصعة ·· كأنها الرؤيا العذبة ··

ولكن أثمن ما فى هذا كله ـ ربما بالنسبة لى وحـــدى ـ هو صورة تلك السيدة النحيلة المريضة المســـنة المكافحة ·· زوجـة موتيلال ووالدة جواهر التى خلقت من الحب والايمــان معجـزة للشجاعة وقوة الاحتمال ·· وتحولت ـ وهى التى نشأت وعاشت شبابها تحوطها الرعاية وتحرسها الغيرة من كل جانب كما تنشـأ اللؤلؤة فى صدفتها الحانية ـ فأصبحت فى شيخوختها الواهنـة لهبا هاديا لكل الذين مست أقدامهم طريق الحرية الوعــر الملىء بالأشواك ··

وعبر خطوط اللوحة التى تصور حياة الأسرة تسقط شعاعات من المصير الانسانى ·· بعضها مضىء ·· وبعضها خافت ·· وبعضها مظلم ظلام الأشباح السوداء ··

وتنتهى الكلمات المطبوعة هنا ·· ولكن قصة حياة عائلة نهـرو تتتابع ·· قصة قوامها تقاليد رفيعة فى الوطنية أسسها والد مناضل وابن مناضل تلقى التكريم والتبجيل من الأجيال المتعاقبة ·

ساروجينا نايدو



« لا .. لم يأت الليل بعد

وهناك شخصان أو ثلاثة ما زالوا

يقومون بالحراسة

لكن الظلام قد بدأ يطفى ..

ومن المحتمل ان يذبحوا هم أيضا ..

هؤلاء الحراس

قبل ان يروا نور الصباح » .

بيير فان باسين

# تمهيـــد

في ٩ أغسطس عام ١٩٤٢ وفي الساعة الخامسة صباحا على وجه التحديد ، قام بوليس بومباى بزيارة مفاجئة لنا ، يحمل أوامر بالقبض على جواهر وراجا . وقد كنا جميعا في حالة من الاعيـــاء الشديد على أثر ما قمنا به من مجهود متـواصل لعـــدة أيام لعقد اجتماعات لجنة مؤتمر الهند العام . وكنا قد قضينا شطرا طويلا من الليل نتحدث ونناقش الأحداث الاخيرة . وعندما انتصف الليل خرج ضيوفنا وبقيت أنا وجواهر وراجا نتحدث لمدة ساعة أخرى . ثم أوينا الى فراشنا .

وكان ايقاظنا بعد هذا السهر المضنى وفي مثل هذه الساعة المبكرة ، أمرا ثقيلا حقا ، ولم تكن رؤيتنا لرجال البوليس عند باب بيتنا في مثل هذه الظروف – بالأمر المحبب على الاطلاق . وبالرغم من أنني كنت غارقة في نوم عميق عندما دق جرس الباب ، الا أنني استيقظت في الحال ، ولم أكن في حاجة لمن يخبرني أن الطـارق هم رجال البوليس . فلم يكن غيرهم من يأتي في مثل هذه الساعة . فأسرعت الى غرفة جواهر وقد ظننت أن أمر القبض متعلق به وحده . وكان من فرط تعبه لا يستطيع أن يفتح عينيه الا بصعوبة كبيـرة ولم يستطع أن يستجمع حواسه الناعسة في سرعة . وفي بضـع دقائق استيقظ كل من في البيت وعندما أدركنا جميعا أن المقدر قد وقع .. وأخذنا جميعا نساعد جواهر في اعداد حاجياته .

وكان راجا يقوم بجمع بعض الكتب عندما ابتدرته ابنه أخي انديرا قائلة :

ـ وانت يا أخي راجا .. لماذا لم تستعد .. ؟

فالتفت لها بسرعة وسألت :

ـ لأى سبب ؟

فأجابت انديرا قائلة :

ـ هناك أمر بالقبض عليه أيضا ! ..

ولسبب ما لم نكن نتصور أن يقبض فى الجـولة الاولى على أى شخص غير أعضاء لجنة المؤتمر التنفيذية ، ولكننا كنا مخطئين .

وعندئذ أخذ راجا هو أيضا يعد حاجيسـاته وسرعان ما كان الاثنان قد استعدا للرحيل . فودعناهما حيث اسـتقل كل منهما سيارته بحراسة البوليس ، جواهر إلى جهة غير معلومة ، أما راجا فالى « بونا » ، السجن المركزى من « يرافدا » . ووقفنا نحن نلوح لهما بأيدينا ، ثم عدنا الى البيت وكل منا يفكر فيما يخبئه المستقبل لنا جميعا هذه المرة .

كان يقيم معنا فى ذلك الوقت عدد كبير من الضـيوف امتلأ بهم البيت ، على سعته ، وبالرغم من أن اثنين فقط همـا اللذان غادرا المنزل الا أن كل شىء فيه قد تغير فى نظـرنا . أحسسنا أن شيئا ينقصه ، شىء مهم قد ذهب ملأ المكان حياة من قبل ، وتركها الآن موحشة مقفرة . كان البيت من قبل مليئا بالنـاس قادمين وراحلين ، والآن استمر ذلك السيل من الزوار فى عـدد يتكاثر أبدا . فقد هرع الاصدقاء والاقارب والمراسلين من كل الاجنـاس والاشكال يريدون أن يعرفوا تفاصيل عملية القبض . ومع ذلك فقد كنا ما زلنا نفتقد هذين الذاهبين بعيداً .. وتحلق أفكارنا حولهما دائمـا .

وبالرغم من أن هذا الذى حدث ، قد حدث مرارا من قبل ، الا أن أحدا لم يمكنه الاعتياد عليه . وفى كل مرة كان كل منا يحس بشىء من الارتباك وشىء من الوحشة .

**وها قد انقضى عام بأسره وهذان العزيزان القريبان الى ما زالا بعيدين سجينين وراء قضبان من الحديد وجدران قاتمة موحشـة**

**وقد حرمت حتى مجرد النظر اليهما · ولكن غيابهما ـ بالرغم من أنه ترك فجوة واسعة ضخمة فى حياتى ـ لم يجعلنى أسلم نفسى للقنوط واليأس فأنا مقتنعة بأن القضية التى سجنا من أجلها هى قضية عادلة وأنه لا بد لهما من احتمال المتاعب من أجلها ·**

وليست السنة فترة طويلة جدا فى حياة الفرد ، وهى أقصر بكثير فى حياة الأمة · ولكن فى بعض الأحايين تستطيل هذه السنة كثيرا ويصبح كل شهر فيها دهرا · وقد خبرت بنفسى بضع حركات عظيمة ، ومن يدرى عدد ما سأخبره منها فى المستقبل · وخلال هذه السنوات كلها عانيت وعددا لا يحصى من زملائنا ـ فترات من الأحاسيس المتباينة · فقد عانينا لحظات عظيمة من الفخار ·· وأخرى من اليأس · وفى بعض الاحيان كانت تحوطنا الاشباح والظلمات دون أن نرى لنا من بينها مخرجا ، وفى أحيان أخرى كانت شعاعات من النور تخترق ما يحيطنا من ظلمات ، وقد حملت لنا أملا جديدا وعزما على مواصلة كفاحنا ·

وخلال كل هذه الشهور من الاضطراب والوحدة تكاثرت على رأسى الذكريات · وحتى أشغل عقلى بدأت أسجل هذه الذكريات حتى أصبحت كتابا . وعندما كنت أكتب هذه الذكريات أخذت أستعيد كثيرا من أيام طفولتى وما بعدها · فكان بعضها سعيدا وامتلأ بعضها بالحزن والاسى ··· وضحكت كثيرا وبكيت كثيرا لما وقع لى فى أيام ذهبت كالحلم · وعلى أى حال فقد أعطانى هذا العمل شيئا من السرور وكثيرا جدا من الراحة وأوقعنى فى بعض الأحيان فى شىء من القلق والتطلع ·

ولقد نعمنا فى طفولتى بحياة هادئة ناعمة · فقد كنت ضمن عائلة صغيرة تحنو على أفرادها · وكان عالمنا الصغير عالما سعيدا لا يعرف الشدة أو الحزن · وعلى مر الايام خضعت حياتنا لكثير من التغير ولكننا بقينا معا ·· فلم نهتم لشىء ·· وبمرور الزمن اضطرتنا الظروف الى التفرق · ولكن الحياة واصلت سيرها وأخذنا نلائم بين أنفسنا وبين ضروب جديدة من الحياة · وأخذنا نعد أنفسنا عقليا ونفسيا لمواجهة ما يمكن أن يظهر فى طريقنا ·

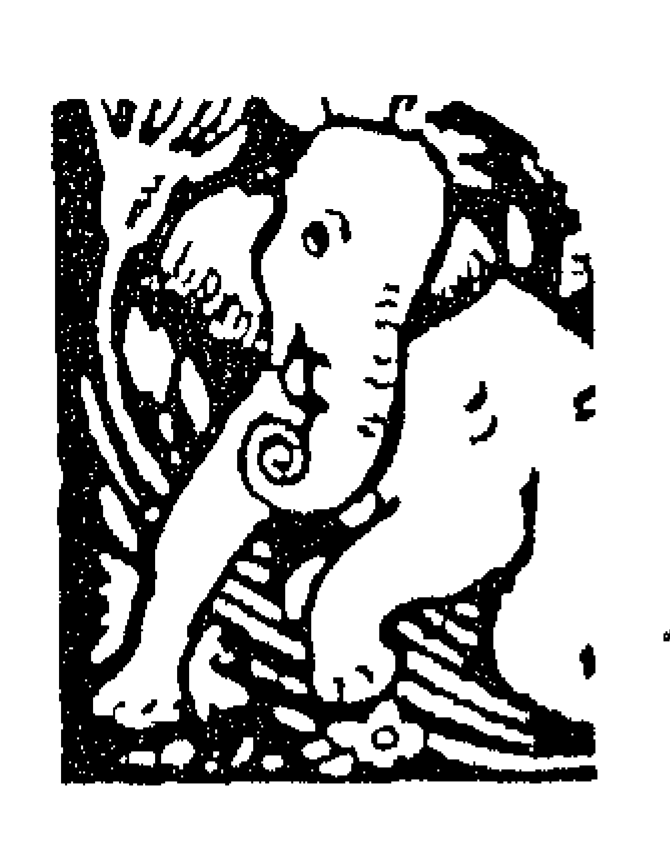
ومنذ أشهر قليلة كتبت لجواهر « فى مكان ما فى الهند » وعلقت على التقلبات التى أحاطت بعائلتنا فى الخمسة عشر عاما الاخيرة • وقد جاء رده معطيا صورة واضحة لكل ما يؤثر فينا • فبالرغم من كل المتاعب التى كان علينا اجتيازها فاننا لم نأسف على شيء •• وقد كتب جواهر يقول :

**« انك تكتبين عن سنة ١٩٢٨ وعن عائلتنا المترابطة حينذاك • أما الآن فان كثيرا من أعزائنا قد ماتوا وتبعثر الباقون وتفرقوا حتى لا يكاد أحدهم أن يرى الآخر • وهذا الدرس الذى يتكرر على مر الأجيال لا بد أن يتعلمه كل جيل من خلال تجاربه الشخصية • فالتكامل يتبع التفكك ولكن كل تكامل جديد يتم فى مستوى أعلى من سابقه ذلك أنه يحمل فى عقله الباطن ذكريات مما أحرزه من نجاح وما أصابه من قبل • فان حمل الماضى يتبعنا وهو عبء ومصدر الهام معا ذلك أنه ينزل بنا الى الأعماق وفى نفس الوقت يدفع بنا الى الامام • وفى بعض الاحيان نحس بأننا قد امتلأنا حيوية وشبابا ونشاطا ، وفى أحيان أخرى نحس بأن آلاف السنين تضغط علينا بثقلها ونشعر بالشيخوخة وبشيء من الارهاق فى هذه الرحلة الطويلة اللانهائية •**

وكلا الناحيتين جزء منا ويتكون منهما ذلك الشيء الذى هو نحن ، ومن هذا الاشتباك والتعارض الذى لا ينتهى يظهر دائما شيء جديد • ونحن ـ أطفال الحضارات القديمة بما وراءنا من مئات الاجيال وما حملته من ضروب الصراع والرضا والحركة والسكون ، تشعر بكل هذا على نحو أعمق مما كان يحسه الناس قبلنا ممن لم يكن يتبعهم ذلك الماضى المعقد • إن لنا الكثير مما يقيم فينا توازنا عقليا وروحيا ، ويجعل نظرتنا الى الحياة هادئة ترفض أن يربكها تغير الاحداث •• وهذا هو المميز الاول للثقافات القديمة •• هذا هو ما تملكه الصين فى غزارة ووفرة •• وهذا ـ على ما أعتقد ـ هو ما تملكه الهند أيضا • ولهذا السبب ستسير الهند الى الخير والنجاح •

« وأنا أذكر عائلتنا ـ عندما كنت طفلا ـ وكانت تتألف من عشرين شخصا أو أكثر يعيشون معا كما تفعل العائلات المشتركة . وقد رأيت هذه العائلة الكبيرة تتفكك ويؤلف كل جزء منها نواة لوحدة جديدة ، ومع ذلك فقد كانت هناك روابط من المحبة والمصالح المشتركة تربط بين هذه الاجزاء المنفصلة ، وكانت هناك وحدة كبرى تضمهم جميعا . وهذه العملية مستمرة ولا يمكنك ملاحظتها بسهولة فى الظروف العادية ولكن عندما تتتابع الأحداث بسرعة فانها تصدم .

**فكرى فيما حدث فى الصين أثناء السنوات الخمس الماضيات وفى الفيضان الذى شمل مئات الآلاف من العائلات . ومع ذلك فقد واصلت الامة حياتها بمزيد من النشاط والحيوية وأخذ الافراد يولدون وينمون ويحملون تقاليد جنسهم وتقاليد الانسانية برغم الحرب والكارثة . اننى كثيرا ما أحس أننا فى الهند سنجتاز مثل هذه المحن بخير ما اجتازت به الصين محنها من خلال تجاربنا الجماهيرية . وعلى أى حال فاننا نجتاز تجربتنا وبهذا نبنى شعبا جديدا فى تمهل ولكن فى ثقة واطمئنان .**





الشعر ،

نشمه بين البراعم المتمايلة

حيث ينمو الامل نشطا ..

كما تزدهر النحلة بين الزهور ،

كلاهما كان لى ..

وسار ربيع الحياة مع ربيع الطبيعة ،

الامل والشعر ..

عندما كنت صغيرا .

كوليريدج

# - ١ -

ولدت فى مدينة « برياجا » المقدسة أو « الله أباد » كما تسمى الآن ، فى صباح يوم قارس البرد من أيام نوفمبر سنة ١٩٠٧ .. ويبدو أن كل من كان بالبيت حينئذ كان ساهرا طوال الليل فى جو من القلق والترقب .. ولم تكن أمى فى أحسن حال .. ومضى القلق .. وولدت ، طفلة بدينة قوية البنية ، ناسية تماما اننى كدت أكلف أمى النحيلة الرقيقة حياتها عندما خرجت أنا الى الحياة .. وأخذت أمى طوال الاسابيع التالية تتأرجح بين الحياة والموت فى الوقت الذى أخذت فيه أنمو وأزدهر بين عواطف المربيات والقريبات كما يجب أن يزدهر كل طفل عادى .

وبدأت أمى تشفى فى بطء شديد ، ولكنها ظلت فى حالة من السقم والوهن لفترة طويلة ، ولم تبلغ أبدا من الصحة ما يمكنها من رعايتى .. لذلك فقد ظللت تحت رعاية المربيات واحدى عماتى .. وعندما بلغت الثالثة من عمرى بدأت المربية الانجليزية التى تعتنى بشقيقتى « سواروب » تعتنى بى أيضا .. وكان أخى جواهر يكبرنى بثمانية عشر عاما ، أما أختى فكانت تكبرنى بسبعة أعوام لذلك فقد كنت أنشأ كما ينشأ الطفل الوحيد .. دون وثيق زمالة أو مشاركة بينى وبين أخى وأختى .. بل اننى لم أحصل على فرصة واحدة للتعرف بأخى ، فقد كان فى انجلترا عندما ولدت .. وقد بدأت معرفتى به عندما بلغت الخامسة من عمرى .

وفى الفترة التى ولدت فيها كان أبى قد لمع اسمه كمحام كبير وكان رجلا واسع الثراء .. وقد اشترى أبى قصر « أناندبهوان »

ـ وهو بيتنا ـ عندما كان جواهر في العاشرة من عمره ·· أما المنظر الذى يطل عليه بيتنا فالمفروض انه على درجة عظيمة من القدسية ، اذ المعتقد انه المكان الذى تلاقى فيه « راما » و « بهارات » عندما عاد راما بعد غياب أربعة عشر عاما قضاها فى المنفى ·· وبالقرب منه توجد « بهارادواج ـ اشرام » حيث كانت تقوم احدى الجامعات ·· ولا زال حتى الآن يؤمه الحجاج ··

وقد كان منزلنا دائما قبلة الجماهير وخصوصا فى « كومف ميلا » ـ وهو عيد يقام كل ١٢ سنة وتجتمع فيه الجماهير عند ملتقى نهرى « الجانجى » و « الجومنا » الذى كان يقام فى «براياجا» ·· وكانت المدينة المقدسة فى ذلك الوقت تعج بالوفود التى جاءت للتبرك بمكان تلاقى النهرين ، وكانت هذه الجماهير كبيرة جدا بحيث كان من المستحيل إعداد ما يناسبها من وسائل الراحة ولذلك فقد كانت تلك الجموع تنتشر هنا وهناك فى أرجاء المدينة حيث كانوا يستريحون ويقضون وقتهم ·· وكانت المدينة كل عام أيضا تستقبل عددا أقل من الوفود لحضور « المانجميلا » وهو عيد يشبه «الكومف ميلا» ولكن على نطاق أضيق ·· ولم يكن يفوت هؤلاء الحجاج زيارة منزلنا قبل عودتهم الى قراهم ومدنهم ـ فقد كان يجذبهم المكان بقدسيته ولما يختلج فى نفوسهم من حب استطلاع لالقاء نظرة على هؤلاء القوم ، أعنى أبى وأخى اللذين سمعوا عنهما كثيرا .

ومنزلنا « أناندبهاوان » منزل متسع يمتاز بالشرفات الواسعة وبحديقة كبيرة تحيط به وباحدى جوانب المنزل كانت توجد خميلة ·· وفى المؤخرة حديقة مليئة بالفواكه ·· وفى الحديقة الامامية كان المنزل الصيفي وملعب التنس ·· وكانت صورة « شيفا » تحتل مكانها فى المنزل الصيفى فوق كومة من الطوب رصت فوق بعضها البعض حتى لتبدو وكأنها جبل صغير ـ وكانت تنساب ببطء من رأس شيفا جدول صغير كان يتجمع على هيئة بركة صغيرة عند القاعدة ·· وكان هذا هو مكانى المفضل فى الصيف لما يمتاز به من جو رطب جميل ·· وعندما أقمنا منزلنا الجديد ـ كان لا بد من هدم المنزل الصيفى لانه كان يقف فى طريق البناء الجديد ··

وكان والدى يقتنى عددا كبيرا من الخيل والكلاب ، والعربات وكان يهوى الصيد وركوب الخيل ·· وقد كنت أجد لذة فى السير خلال الاصطبلات والتطلع الى الخيل وكان لى مهر أبيض جميل — وقد عرض الكثيرون شراءه من والدى لقاء مبالغ كبيرة من المـــال ولكن والدى كان يرفض بيعه ·· ولكنه لم يمكث لدى وقتا طويلا — ففى احدى الايام وجدته جثة هامدة فى الاصطبل وقد لدغته أفعى · وقد حزنت لفقده كثيرا وظللت لعدة أسابيع أعانى آلم فراقه ··

وخلال طفولتى كان منزلنا يضم دائما بعض أقاربنا — وكان من ضمن هؤلاء الاقارب بعض الاطفال — وقد كنت آسر جدا لوجودهم ليكونوا شركائى فى لعبى ·

وكنت أعجب كثيرا من أمر والدتى — التى كانت تدير هــذا المنزل الكبير بما يحويه من ضيوف وخدم وحشم وهى على سرير المرض ،ولم يكن اعجابى بأبى بأقل من اعجابى بأمى — فقد كان بالرغم من أعماله الكثيرة ، يجد من وقته بعض اللحظات يقضيها مع كل منا ويطمئن على راحتنا وسعادتنا ·· فكان كالراعي الذى يبدو لاول وهلة لا يعطى اهتمامه لما حوله ولكنه فى الحقيقة يركز اهتمامه على قطيعه — وقد كانت رعايته رعاية حقة ··

وقبل ولادتى ، كان لوالدى طفل صغير انتقل الى العالم الاخر ولكن ذكراه لم تفارق والدتى ·· ولذلك عندما ولدت ، استاءت والدتى كثيرا لانها أنجبت فتـــاة ، ولكن والدى لم يكترث لذلك كثيرا .. وقد قضيت طفولتى وحيــدة عجيبة لا يشاركنى أيامى الا القليل من الاصدقاء ··

وقد كانت حياتى تسير تبعا لنظم وقواعد معينة — فقد وضع لكل لحظة من لحظات حياتى ما يشغلها منذ أن أغادر سريرى فى الصباح حتى أعود اليه فى الليل ·· وكثيرا ما ضاقت نفسى بهذه النظم ، وخصوصا وقد كنت أرى غيرى من الاطفال يتمتعون بحرية أكثر ·· ولا تتحكم فيهم الاوامر القاسية التى تفرضها على مربيتى وقد كنت أثور دائما على هذه السلطة وغالبا ما كنت أعصيها ·· على أننى لم أكن طفلة عنيدة فقط بل مشاكسة أيضا وكثيرا ماكان مزاجى الحاد يسيطر على ·· فقد كنت سريعة الاثارة ولكن

لم تكن تستمر ثورتى الا لفترة قصيرة ثم تنتهى بسلام غير تاركة أى أثر لحقد أو ضغينة ولكن كثيرا ما أدت ثورتى هذه الى نتائج لا تحمد عقباها ..

فقد كان من الاشياء المألوفة لدى أن أعاقب أو أوضع فى حجرة وأحرم من العشاء .. ولم يكن يحدث ذلك الا نادرا بالنسبة الى أختى .. فقد كانت أختى دائما مطيعة وديعة .. ويرجع ذلك غالبا الى ان الطاعة هى أقل الطريقين مشقة .. ولكن بالرغم مما كنت أشعر به من استياء لتلك السيطرة التى كانت تفرضها على مربيتى والتى كانت تعبر عنها ثورات الغضب التى كانت تنتابنى الا أننى كنت أحب مربيتى حبا عميقا وكنت أعلم أنها تبادلنى نفس هذا الحب ..

ولم أكن أرى والدى الا قليلا جدا خلال طفولتى .. فقد كان والدى فى شغل دائم وكنت أراه لفترة قصيرة جدا فى الصباح وفى المساء .. وكنت أرى والدتى أكثر من ذلك ولكن لم تخرج رؤيتى الى حيز الاختلاط الفعلى .. فعندما كانت تتحسن صحتها كانت لا تعرف الراحة اليها سبيلا .. فتمضى هنا وهناك تؤدى عدة أعمال منزلية بالرغم من جيش الخدم والحشم الذى كان دائما فى انتظار ما تأمر به .. وكنت أحب أمى كثيرا .. هذه الام التى كنت أعجب لجمالها .. ولكن كثيرا ما انتابت قلبى الصغير الاحزان عندما كنت أحس انها لا تهتم بى الاهتمام الكافى ..

أما أخى جواهر — فقد كان ابنها المدلل — ولم تكن تخفى عن الاعين هذا الحب الذى تكنه له — ولم يكن أبى بأقل من أمى حبا وفخرا بجواهر — بل لعله كان يفوقها فى حبه وتقديره — ولكنه كان يخفى ذلك عنا — فقد كان لا يريد أن يشعر أحد منا بتفضيله فردا على فرد .. وقد نجح فعلا فى ذلك .. ولكن بالرغم من ذلك .. فان كلمات المديح التى كانت دائما تقال فى وصف جواهر أثارت عقارب الغيرة فى قلبى وجعلتنى لا أعبأ لغيابه فى الخارج .. وكانت أختى « سوارب » ذات جمال أخذ الجميع يدللونها ولكننى مع ذلك لم أكن أغار منها .. فقد كنت أعتقد بينى وبين نفسى أن مثل هذا الجمال لا بد أن يجد صدى له فى نفوس الاخرين وربما كان هذا هو سر شغفى بها ..

أما طفولتى فكانت تسير على وتيرة واحدة تبعا لنظام دقيق فكنت أبدأ صباح كل يوم بالقيام بجولة على ظهر مهرى وكنت أحب هذه الرياضة وما زلت أحبها الى اليوم .. فقد كان أبى فارسا ماهرا وكان له اسطبل ممتاز ..

وقد كان تعلمنا نحن الاخوات الثلاث أنا وجواهر وسوارب ركوب الخيل فى مرحلة مبكرة جدا من حياتنا ربما كانت تلى تعلمنا المشى .. وكنا كلنا مغرمين بهذه الرياضة ولكن الايام تغيرت ولم يعد تتاح لنا فرصة الركوب الا نادرا الان .. فاذا ما أنتهيت من جولتى الصباحية كنت أنتحى ومربيتى جانبا من حديقتنا الواسعة حيث كنت أقضى ساعات النهار حتى موعد الغذاء فى درس متواصل وكانت تلى الغذاء فترة من الراحة .. كنت لا أسر بها كثيرا .. ثم درس فى عزف البيانو .. وكان يختتم اليوم ببعض دروس أخرى . أما فى مساء كل يوم فكنا نخرج للنزهة فى عربة يجرها جوادان من تلك الجياد التى يعتز بها والدى . أما بقية الامسيات فكانت غالبا مملة .. فلم تكن السينمات تحتل ذلك المكان الذى تحتله الآن .. وكان نادرا ما يسمح لى بالتوجه للسينما . وكانت زيارة طارئة لسيرك أو معرض نعمة من السماء .. ولكن تطورت الايام وأصبح أولادى الصغار الذين لا زالوا فى السابعة والثامنة من عمرهم يعلمون عن الافلام الهندية والامريكية ما لم أكن أعلمه وأنا فى الثانية عشرة من عمرى .

وأحيانا كنت أجد من يشاطرنى اللعب من الاطفال ولكن هذا كان قليل الحدوث .. ولذلك فقد كنت أتسلى بالتريض فى الاراضى الشاسعة التى تحيط بمنازلنا وكنت أقضى هذه الفترة فى التفكير فى الحياة عموما .. وكنت أحتفظ دائما بأفكارى لنفسى .. فقد التصقت فى ذهنى تلك الكلمات المأثورة التى سمعتها فى صغرى عن الاطفال « الاطفال يجب أن نراهم ولكن لا نسمعهم وأن حب الإستطلاع والاستفسار ليس الا ظاهرة للعادات والاخلاق السيئة » ولذلك كنت أجد رأسى تكاد تنفجر من كثرة الاسئلة التى تتلاطم فيها والتى كنت أود من كل قلبى أن أوجهها ولكن لم تتح لى الفرص أبدا لأفعل ذلك ..

وعندما بلغت أختي سوارب الخامسة من عمرها سافرت برفقة والدي الى انجلترا وهناك اتفق والدي مع « مس هوبر » على أن تكون مربية لنا .. وقد كانت مس هوبر انسانا مهنيا جدا .. ذات مواهب ممتازة كما أنها كانت من أسرة عريقة جدا .. وكانت من المؤمنين بمبادىء المدرسة القديمة التي كانت تعتقد في قيمة النظام الحازم والطاعة العمياء .. وكانت مهمتها بالنسبة لسوارب بسيطة جدا .. فقد كانت سهلة القيادة بعكسي أنا ، فقد كنت بالنسبة اليها مشكلة .. فقد ورثت صلابة الرأي عن والدي وعن سلسلة متوالية من الاجداد .. فلم تكن أنواع العقاب المختلفة ولا حتى القاسية منها لتجعلني أحيد عن رأيي .. وعلى العكس فان العقاب الخفيف كان غالبا كافيا ليجعلني أخجل من نفسي وأود أن أعمل كل ما يطلب مني ولكن للاسف كان سلاح العتاب قليل الاستعمال .. وكان العقاب هو الوسيلة السائدة ، وكان لذلك نتائجه فتحولت من طفلة وحيدة الى فتاة خجولة مرتبكة – تتمنى أن تستلفت الانظار .. وكنت في أشد الظمأ للمعرفة .. ولكنني لم أستطع أبدا الحصول على هذه المعرفة الا عن طريق المناقشة .. وظل والدي بالنسبة الى كأنهما غرباء .. أما أخي جواهر فلم أكن أعرفه أبدا .. وكانت أختي سواراب هي الشخص الوحيد غير مربيتي التي كانت تبادلني عواطف الحب أحيانا ، وعواطف الكره أحيانا ..

وكان رجوع أخي من انجلترا في سنة ١٩١٢ هو أول حدث كبير في حياتي .. وقد كان أخي بالنسبة لي انسانا غريبا تماما – كما قلت – ومع انني لم أكن مشتاقة الى عودته الا انني كنت متلهفة لأرى كيف يبدو ذلك الاخ الذي سمعت عنه كثيرا ..

وقبل عودة أخي بعدة أسابيع كانت الإستعدادات قائمة على قدم وساق في منزلنا لاستقبال الابن الحبيب .. ولم تكن والدتي بقادرة على أخفاء عواطفها وكانت تقضي تلك الايام السابقة لحضوره في حركة دائمة هنا وهناك طوال اليوم لتتأكد من أن كل شيء قد أعد كما يجب لاستقبال ابنها الحبيب .. ولا زلت أذكر كيف كانت سعيدة في تلك الايام .. وكيف كان وجهها يشع بنور عجيب لم أره من قبل .. وقد كان مسلكها هذا يضايقني جدا في بعض



الاحيان ‥ وكنت أعجب لحبها الزائد لهذا الابن الوحيد ولكننى اليوم أدرك تماما طبيعة تلك العواطف التى كان يجيش بها صدرها فى ذلك الوقت ‥

وحتى أختى كانت تتحرق شوقا لهذه المناسبة وكانت تجرى هنا وهناك فى المنزل ‥ وكان سلوكها هى أيضا يثيرنى ويضايقنى ‥ وأخيرا قررت أن أكره جواهر كرها شديدا ‥

وجاء اليوم الموعود ‥ ووجدت نفسى وقد سرت فى نفس ذلك التلهف المكبوت الذى كان يسيطر على المنزل وكان تلهفى هذا مقرونا بالقليل من حب الاستطلاع ‥ وكان الوقت صيفا وكلنا حينئذ نقيم فى مصيفنا الجبلى ‥ وفى الساعة المرتقبة سمعنا أصوات حوافر الخيل ترتطم بأرض الطريق ‥ وكان هذا ايذانا بالوصول ‥ فهرع الجميع الى الخارج لاستقبال جواهر ‥ وخفق قلبى عندما رأيت شابا وسيما يشبه والدتى تماما متجهـا نحونا ‥ وسرعان ما ترجل ‥ ثم توجه أولا نحو والدتى وعانقها ‥ ثم حيا الآخرين بعد ذلك ‥ ووقفت على مسافة منه أحاول أن أتخذ قرارا تجاه هذا الاخ الجديد ‥ الذى هبط علينا فجأة ‥ وفيما كانت الافكار المختلفة تتنازعنى وجدت نفسى محمولة بين ذراعيه وسمعته يقول « اذن فهذه هى أختى الطفلة ؟ لقد أصبحت سيدة صغيرة » ثم قبلنى وأنزلنى بطريقة مقتضبة تشبه تماما الطريقة التى رفعنى بها ‥ وفى الدقيقة التالية كنت شيئا منسيا تماما بالنسبة له ، وكانت الشهور القليلة الاولى لتعارفنا أقل ما يقال عنها انها لم تكن سارة ‥ فقد كان جواهر دائما يغيظنى ‥ وكان لا يجد أكثر متعة من قضاء تلك الاوقات التى كان يخلو فيها من أعماله فى اغاظتى ومضايقتى ‥ وكان يضطرنى أن أعمل كل أنواع الاعمـال التى أكرهها أو أخافها ‥ وعلى حين فجأة وعلى غير انتظار كان يغدق على سيلا من الهدايا ويعاملنى معاملة لطيفـة ‥ وبذلك كان من المستحيل أن أظل على خصام معه لفترة طويلة ‥ ولكن بالرغم من كل هذا ، فقد اتخذت منه موقفا متعاليا ولم تبلغ عواطفى تجاهـه درجة الحب الشديد ‥

ثم قامت الحرب العالمية الاولى ‥ ولكنها لم تؤثر فى حيـاتى الهادئة المملة التى تسير على وتيرة واحدة ‥ والتغيير الوحيد الذى

طرأ على حياتنا المنزلية هو تردد والدتى بدرجة اكثر على النوادى واشتراكها مع النساء الهنديات والاجنبيات فى حياكة بعض الملابس للجنود وكنت ألاحظ أيضا بين حين وآخر الاهتمام الشديد الذى كان يبدو على والدى وجواهر عندما يسمعون بعض أنباء الحرب .

وتزوج جواهر سنة ١٩١٦ ــ ولعدة أشهر أخذت الاستعدادات تجرى على قدم وساق لحفلة الزفاف الفخمة .. وكان المنزل يضج بالتجار والخياطين وأصحاب محال الجواهر فكان المنزل لا يكاد يخلو منهم طوال اليوم .. وكان عدد كبير من الموظفين مشغولين بوضع التفصيلات الدقيقة لكل ما يلزم لهذه المناسبة ..

وكان الزفاف سيتم فى دلهى ــ حيث تقيم العروس ــ ولذلك فقد غادرنا جميعا « الله أباد » قبل الموعد المحدد باسبوع .. وكان يصحب والدى فى هذه الرحلة مائة من الضيوف وقد أقلنا قطار خاص زين زينة جميلة لهذه المناسبة وانضم الينا مئات من الضيوف الآخرين فى دلهى ..

ولم يكن أى عدد من المنازل يتسع لهذا العدد الكبير من الضيوف .. ولذلك أعد والدى عددا من الخيام يتسع لكل الافراد.. ولم يمض أسبوع حتى كانت قد أقيمت مستعمرة من الخيام أطلق عليها « معسكر زفاف نهرو » ..!

وكان البرد قارسا فى دلهى .. ولكننى أحببته .. وقضيت وقتا جميلا هناك التقيت فيه بعدد كبير من أبناء عمومتى الذين لم أرهم من قبل والذين حضروا من جميع أنحاء الهند لهذه المناسبة .. وكان كل يوم يحمل طائفة جديدة من الزوار .. وبعد عشرة أيام عاد موكب الزفاف الى الله أباد ــ حيث كانت ستقام مجموعة أخرى من الاحتفالات وكان جواهر عريسا جميلا .. أما « كامالا » فقد كانت من أجمل العرائس التى رأيتهن فى حياتى .. وفى نوفمبر سنة ١٩١٧ رزق الزوجان بوحيدتهما « انديرا » ولم يكن هناك ما يستحق الذكر فى حياتى حتى سنة ١٩١٧ .. ففى هذه السنة خطبت مربيتى لصديق لها انجليزى .. وأرادت أن يتم الزواج فى وقت قريب وكان أهلها جميعا فى انجلترا ــ ولذلك عرض والدى أن يكون وكيلها عند الزواج فى الكنيسة وكان هذا

الزواج المرتقب يثير في نفسه لهفة عظيمة خصوصا وأننى كنت سأكون من فتيات الشرف.. ولكننى فى نفس الوقت لم أكن سعيدة لفراق مربيتي وأصبحت كل تصرفاتها التى كانت تضايقنى فى زوايا النسيان من نفسي ، ولم يبق فى ذاكرتى سوى ذلك الحب وتلك الرعاية التى كانت تغمرني بهما .. فقد قضت معنا اثنى عشرة سنة طويلة حتى أصبحت وكأنها فرد من عائلتنا .. وكنا جميعا نحبها وكانت هى بدورها مخلصة لنا أشد الإخلاص ..

وأخيرا لاح فجر يوم الزفاف وأحسست بالتعاسة .. وتم كل شيء فى نظام جميل وكانت هى فى أشد السرور لكل ما فعله أبى لها .. وبعد حفلة العرس غادرتنا الى حيث تقضى شهر العسل وظللت لعدة أيام فى حالة ضيق شديد .. فلقد كانت هذه أول صدمة أصابتني في حياتى .. ولكننا سرعان ما ننسى أحزان الطفولة .. واعتادت نفسي غيابها .. وبدأت أستمتع بحريتى الجديدة التى اكتسبتها .. فقد كنت حرة الى حد ما فى عمل كل ما أريد عمله .. وكنت أترك فى كثير من الاحيان لأتعرف على كل شيء بنفسى ..

وكانت تراودنى دائما فكرة الذهاب الى المدرسة والتعلم مع الاطفال الآخرين .. ولكن لم ترق الفكرة لوالدى فقد كان يظن أن الطريق الصحيح لتعليمى هو التعليم الفردى تحت اشراف مربية وكان هذا متمشيا مع تقاليد العصر ، فقد كان من الصفات التى يجب أن تتحلى بها السيدة الشابة فى تلك الإيام العزف على البيانو أو أية آلة موسيقية أخرى ومقدرتها على أن تتجاذب مع غيرها أطراف الحديث وأن تشق طريقها فى المجتمع .. فلم تذهب أختى أبدا الى المدرسة وتلقت كل تعليمها فى المنزل .. ولا أظن أنها فكرت أبدا فى الذهاب الى المدرسة .. أما أنا فكنت على العكس تماما .. وعندما تزوجت مربيتى .. حاولت بكل جهدى أن أقنع أبى بالسماح لى بالذهاب الى المدرسة .. ولكن ذهبت محاولاتي الاولى أدراج الرياح ، فقد كان يريد لى مربية جديدة ، وجاءت مربية تلو الإخرى ولكن لحسن الحظ لم يبقوا طويلا .. وأخيرا اعترف والدى ، بالامر الواقع ، على غير رغبة منه وذهبت الى المدرسة .. وكانت المدرسة المختارة تعتبر مدرسة مثالية فقد كانت مكانا

صغيرا مختارا يضم مجموعة من الفتيات والفتيان ·· وكان معظمهم من الانجليز فى أول الامر ولكن انضم اليها بعـــــد ذلك كثير من الاطفال الهنود ··

وكان ذلك فاتحة عهد جديد بالنسبة لى ·· وكنت أستمتع بكل لحظة من حياتى هناك ولم أعد أشعر بالوحدة فقد كانت الدراسة والالعاب تشغل كل وقتى ·· وكانت الحياة جميلة جدا حتى اننى كنت أظن اننى فى حلم ·· وكانت تلك الايام التى قضيتهـــا فى المدرسة من أسعد أيام طفولتى ·· وبعد سنين قليلة انتهت حياتى المدرسية فجأة ··

وهكذا كانت نشأتى ·· فى جو من الامن والطمأنينة ·· بخيم على المنزل الذى أحب ··





« آه .. ما اجمل التغيير من وقت لآخر »

كوليريدج

## - ٢ -

برحيل مربيتي اصبحت تحت رعاية اختى سوارب . لان والدتى كانت فى حالة من الضعف لا تسمح لها برعايتى ـ ولم تكن اختى حازمة معى الا فى النادر من الامور ولذلك فقد كنت غالبا أفعل ما اريد .. وكان هذا الوضع يوافقنى تماما كان يجنبها المضايقات . وقد كنت مغرمة جدا بالشعر ـ وكذلك كانت اختى. وكم من ليلة جميلة قضيناها ونحن جلوس فى الحديقة .. هى تقرأ لى بصوت مرتفع وانا استمع لها فى انتباه شديد .. ونشأت بيننا رابطة جميلة نادرة . فقد كانت سوارب هى هاديتى وهى فيلسوفتى وهى صديقتى خلال هذه الفترة من طفولتى .

وفى سنة ١٩٢٠ تزوجت اختى . واقيم حفل الزفاف على النظام الكشميرى ـ وكان فى غاية الابهة . وتوافد على منزلنا المئات من الضيوف واقام معنا الاصدقاء والضيوف وكان من بينهم اعضاء لجنة المؤتمر التنفيذية ، التى كانت تعقد احدى اجتماعاتها حينئذ فى الله اباد . وقضيت وقتا عظيما فى هذه الايام ، دون أن يضايقنى أحد او يوجهنى الى ما يجب على أن أفعله .. وكانت تتقاذفنى انفعالات عدة ، فقد كنت اشعر بالتعاسة لفراق اختى .. ومن ناحية اخرى كان يغمرنى السرور لحفلات الزفاف . وكانت هذه الايام هى التى اتخذت خلالها قرار الامتناع عن اكل اللحوم . فقد كنت مغرمة جدا بأكل اللحوم وفى ذات يوم وكنت اتناول طعام الغداء رآنى «ماهاويوبهى ديزى» ـ سكرتير غاندى ـ فبدا عليه الاستياء لرؤيته

أنواع اللحوم المختلفة التى امامى فأعطانى درسا طويلا فى مزايـــا النباتين . ولم يكن من السهل التأثير على ، ولكن تحت الحاحـــه الشديد واستمراره فى ملاحقتى برأيه كلما رآنى ، لانــت قناتى ، فقررت ان أكون نباتية فى ضجة حفلات الزفاف مما أثار اســتياء الجميع الا والدتى .. فقد كان سرورها عظيما لهذا القرار فقــد كانت تكره اللحوم ولم تكن تتناولها بمحض اختيارها .. فقد كانت مضطرة خلال مرضها أن تتناول انواعا معينة من الشوربة واللحوم.

وظللت ثلاث سنوات لا أقرب اللحم . الا اننى كثيرا ما كنت اشتاق اليه . وحدث مرة ان ذهبت فى احدى اعياد الميلاد الى بعض ابناء عمومتى لقضاء اسبوع هناك .. فرأيتهم جميعا يأكلون اللحم وكان فى هذا اغراء كبير لى .. فانهارت مقاومتى .

واحسست بالتعاسة والوحدة عندما غادرت «سوارب» المنزل .. الا انه كان هناك طبعا «كامالا» زوجة اخى . وكانت فى مثـل سن سوارب . ومع ذلك فقد اتخذت بالنسبة لى موقف الرعاية التى كانت تبسطه على سوارب . وخلال هذه الفترة بدأت أرى والدى اكثر من ذى قبل وازدادت معرفتى به وكان هو ايضا يحس بمقدار فقدى لسوارب ولذلك كان يحاول ان يعطينى من صداقته ورفقته بالقدر الذى يتسع له وقته . وكنت فى بدء معرفتى به وحبى له عندما قبض عليه لاول مرة فوضع هذا الحادث حدا لهذه الفترة الرائعة من صداقتنا .

وكانت أول مقابلة لى بغاندى سنة ١٩٢٠ .. كان قد حضر الى «الله اباد» بناء على طلب والدى ليتناقشا معا . وكنت قد سـمعت الكثير عن «بابو» (اى الوالد) كما كان يسمى غاندى . ولكنه كان بالنسبة لى انسانا خرافيا .. فقد كنت فى هذا الوقت صـغيرة جدا ولم اكن لاستطيع فهم تلك المبادئ التى يمثلها . فكنت اظن افكاره خيالية . وكان رأيى فيه عندما رأيته لاول مرة انه انسان غير جذاب . فقد كنت أنتظر رؤية رجل طويل وقوى . له عيون نفاذة وخطوة ثابتة . ولكنى رأيت أمامى رجلا رفيعا وكأنه يعانى الم الجوع محنى الظهر قليلا . يلتف بقطعة من القماش ويعتمد على عصـــا .. وتبدو على وجهه امارات الوداعة والرقة . فخاب ظنى فيه وتعجبت .. أهذا الرجل النحيل هو الذى سيقوم باعظم الاعمال

لبلدنا لتحريرها من النفوذ والسيطرة الاجنبية ؟ وكنت قد قرات وسمعت الكثير عن تفاصيل «جاليان والا باخ»(*)

وبالرغم من صغر سنى الا ان روح الانتقام ثارت فى نفسى وكان معنى الانتقام بالنسبة لى هو مقابلة العدوان بالمثل .. باستخدام القوة . فعندما سمعت عن آراء «بابو» التى تحض على المقاومة السلبية قلت لنفسى ان هذه ليستالا آراء نظرية ولن يقبلها اى فرد كما لن تقبلها أمة باسرها . ويبدو ان نوعا من العناد يسيطر على طبيعتى .. ولذلك فعندما وجدت الجميع يتخذون من غاندى الها .. ويعيشون فقط ليحققوا كل اشارة منه ، اتخذت بالنسبة له موقف عدم المبالاة . وكان هذا مما يحز فى والدتى . ومع اننى كنت فى قرارة نفسى احب غاندى واقدره الا اننى كنت ارفض ان اعامله كقديس او كرجل غير عادى كما كان يعامله الاخرون .

وكلما ازدادت رؤيتى له كلما كنت انجذب بكليتى اليه .. كان يبدو لى أحيانا انه ينتمى الى عالم غير عالمنا . ومع ذلك فقد كان فيه

---

(*) هو ميدان فى مدينة امريتسار بالبنجاب . محاط بجدار عال الا فى مدخله . وحدث فى هذا الميدان يوم ١٣ ابريل سنة ١٩١٩ ان كان بعض القاذة الهنود يخطبون فى جمع من المواطنين الهنود العزل عندما صب الجنرال دير وجنوده نيران مدافعهم الرشاشة عليهم . ولم يتورعوا فى ان يتأبعوا بنيرانهم بعض افراد الجمع الذين حاولوا الهرب عن طريق تسلق الجدران . وتراكمت جثث القتلى والجرحى امام المدخل فسدته ثم أعلنت الاحكام العرفية .. ومنعت عربات الاسعاف من الوصول الى الجرحى الذين كانوا لا يزالون فى الميدان . وقد اعترف الجنرال دير فيما بعد - متحديا - بأنه لم يكن هناك اى خطر على حياته من جموع الشعب وانه اطلق النيران عليهم وصوبها جيدا - ولولا نفاذ الذخيرة لاستمر فى صب نيرانه على الشعب الاعزل اذ كان يعتقد على حد قوله انه لو لم يفعل ذلك لضحك عليه الشعب ..!!

وتعرف هذه الحادثة عادة بمذبحة «امريستار» . واعقب هذه الحادثة حكم ارهابى وحوادث من القسوة والارهاب . وقد اتخذت هذه الحملة الارهابية اشكالا مختلفة . من تعذيب لطلبة المدارس الى سجن الزعماء الوطنيين .. الى تدمير القرى تحت وابل من القنابل . وتسليط المدافع الرشاشة على الفلاحين العزل . وقد اثارت هذه الحوادث التى حدثت فى البنجاب الهند كلها وثار الشعب لها من أقصى البلاد الى ادناها وقد قام حزب المؤتمر بجمع التبرعات لشراء ارض هذا الميدان الذى أصبح ملكا لحزب المؤتمر كما أصبح نصبا تذكاريا وطنيا .

الكثير من هذا العالم وكان يقدر الكثير مما يوجد فى عالمنا . ووجدت نفسى تحت تأثير عينيه الوادعتين وابتسامته المظفرة وأصبحت من المتحمسين له ـ كغيرى من الملايين ، من المواطنين ـ ليس لفترة معينة ولكن طوال حياتنا بأكملها .. فنحن اذا اعطينا ولاءنا لغاندى من قلوبنا لم نتزعزع عنه أبدا .

وفى سنة ١٩٢٠ قاد غاندى حركة ساتيا جراها (*)

وببدء هذه الحركة تغيرت حياتى تماما وحياة اسرتى وحياة مئات من الاخرين . وكان احد جوانب هذه الحركة مقاطعة المدارس الانجليزية .. وقد كنت مشغولة بدراستى وبحياتى الصغيرة فى هذه الفترة حتى اننى لم الاحظ العاصفة التى توشك ان تهب علينا ولا التغيرات التى بدأت تحدث فى منزلنا .. ولذلك فقد كانت الصدمة شديدة بالنسبة لى عندما ارسل والدى يستدعينى من المدرسة فى أحد الايام ثم اخذ يشرح لى الموقف ويوضح لى انه يجب على ان امتنع عن الذهاب الى هذه المدرسة .

وكنت شديدة التعلق بالمدرسة .. وكان لى هناك الكثير من الاصدقاء .. وظللت لفترة طويلة اعانى الضيق لتركى المدرسة مع اننى كنت اعرف تماما ان هذا هو التصرف الوحيد السليم . ولم يكن الوقت مناسبا حينئذ لكى التحق بمدرسة اخرى ولذلك كلف والدى بعض المدرسين لتدريسى فى المنزل . وظللت لعدة اسابيع وانا فى حالة من عدم الاستقرار والضيق ، لا اجد شيئا يستحق الذكر لكى اعمله ، ولكن كانت الحياة تسير بسرعة فى تلك الايام وسرعان ما انسقت انا ايضا فى تيار الحوادث التى كانت ستغير كل شيء فى بلادنا .

وكان يحدث فى كل يوم شيء جديد فيحيل حياتى المملة التى كانت تسير على وتيرة واحدة الى حياة دائمة التغيير لا تدرى ماذا سيحدث لها غدا . واراد جواهر ان ينضم الى غاندى .. وكان

---

(*) معناها الحرفى التمسك بالصدق وهو الاسم الذى اطلق على حركة المقاومة السلبية التى قام بها غاندى من كافة نواحيها .. ولكن كثيرا ما تستخدم هذه التسمية لتعنى المقاومة السلبية فى حدودها الضيقة .

والدى يوازن بين كافة الاحتمالات قبل ان يتخذ قراره الاخير فى هذا . ولكن جواهر كان قد اتخذ قراره ووضع نفسه فى خدمة حركة المقاومة السلبية .

ولم يكن اتخاذ جواهر لهذا القرار سهلا .. فقد عانى الكثير من النزاع الداخلى فقد كان جواهر يعتقد ان هذه الحركة تحت قيادة غاندى هى الطريق الوحيد للوصول الى الحرية ولم يكن من السهل حصوله على موافقة والدى لكى ينضم الى غاندى . فلم يقبل والدى آراء غاندى بسرعة . ومع انه أهتم اهتماما كبيرا بهذه الحركة الا انه لم يكن مقتنعا بها تماما . فلم يكن يرى أى داع للسجن فى هذه الفترة . ولم يكن يقبل فكره جرى نهرو وراء المتاعب والاعتقال .. وكان والدى يحب نهرو حبا عميقا . ولا يستطيع ان يتصور ابنه يعانى الآلام .. وخاصة آلام السجن .

ولعدة ايام استمر النزاع فى نفس كل من الوالد والابن .. وكانت بينهما مناقشات طويلة وكلمات حادة احيانا . وقضى كل منهما اياما وليالى قاسية يحاول كل منهما ان يقنع الآخر بوجهة نظره وكان أبى حزينا جدا على أتباع بابو . واكتشفنا فيما بعد ان والدى كان ينام على الارض فى بعض الليالى ليرى كيف يكون احتمال النوم عليها فقد كان يتوقع ان هذه ستكون حياة جواهر فى السجن .

وكانت هذه الايام مؤلمة لكل فرد من الاسرة خصوصا لوالدتى وكامالا اللذين كانا يألمان لرؤية الوالد والابن وقد اثارت السياسة والجدل الفرقة بينهما . وكان هناك حالة من التوتر حتى أن كل فرد منا كان لا يجرؤ على التفوه بأية كلمة حتى لا تثير غضب والدى أو تضايق جواهر .. وكان لحوادث البنجاب ومأساة جاليا والاباغ الفضل الاكبر فى تقريب شقة الخلاف بين تفكير والدى وجواهر . وكان لتمسك جواهر بأهدافه ، وايمانه العميق بحركة المقاومة السلبية بجانب محبة الوالد العميقة لولده الفضل فى اقناع والدى .. فقرر والدى أن ينضم مع جواهر الى صفوف المؤمنين بمبادىء غاندى ولكنه قبل ان ينضم فعلا الى الحركة ، ترك مهنة المحاماة ، وكان لهذه الخطوة تأثير كبير على حياتنا . فقد كنا حتى ذلك الحين نعيش عيشة سهلة رغدة فأصبحت حياتنا تميل الى البساطة ويتخللها بين الحين والحين القليل من المتاعب والمضايقات . فقد كان

دخل والدى كبيرا من مهنة المحاماة . ولكنه كان يصرف عن سعة غير مقدر لما قد يحمله الغد من أحداث بين طياته ولذلك فعندما ترك مهنة المحاماة اضطررنا الى ادخال الكثير من التغيرات على حياتنا اليومية فقد كان من المستحيل علينا ان نستمر على نظام حياتنا القديم دون أن يكون لنا اى دخل على الاطلاق . وكان أول ما فعله والدى بعد اتخاذه قراره بالانضمام الى صفوف المجاهدين هو بيع خيوله وعرباته ولم يكن ذلك بالنسبة له بالامر الهين فقد كان يحمل لهذه الخيول حبا عميقا كما كانت موضع فخره دائما . ولكن كان لابد له ان يفعل ذلك . كما كان لابد من الاستغناء عن عدد كبير من الخدم .. ثم الحد من ميزانية المنزل من جميع نواحيها . فلم يعد هناك حفلات ولم يعد يحتمل مطبخنا طاه واحد بعد أن كان لا يتسع له اثنان او ثلاثة . ولم يعد هناك ذلك السيل الكبير من الخدم .. واضطررنا الى بيع الكثير من انواع الصينى والبلور الفينيسى والدرسدن الجميل وكثير غيره من الاشياء الجميلة الغالية .. واخذنا نعود أنفسنا على هذه الحياة الجديدة التى لا تتسع للكثير من الخدم ولا لكماليات الحياة العادية .. وقد كنت حينئذ صغيرة فلم احس كثيرا بالتغيير ولكن لابد أن هذا التغيير الفجائى كان قاسيا جدا لعائلتنا وخصوصا لوالدى

وقبل أن تطرأ هذه التغيرات على حياتنا مباشرة وقعت حادثة غريبة . فقد كان هناك الكثير من الابنية التى توجد فى مؤخرة منزلنا وكنا نختزن فيها الفحم والخشب والاشياء الاخرى التى تحتاج للخزن . وكانت تسكن كوبرا ضخمة احدى هذه الابنية التى كان يخزن بها الخشب . ومنذ شببت عن الطوق وانا أعلم أن هذه الكوبرا تكمن هناك . ولكنها ما كانت تؤذى احدا وكان الخدم يدخلون هذه المخازن دون اى تردد وهم آمنون حتى فى آخر الليل .. وكانت الكوبرا تشاهد كثيرا وهى تنساب على ارض الحديقة وحول هذه المخازن .. ولم يكن يهابها او يهتم بها أحد .

وكان هناك اعتقاد يسود العائلة هو انه طالما كانت هناك هذه الكوبرا ، حامية لمصالح الاسرة فلن يصيب العائلة أى سوء .. ستكون دائما طالع سعد ورخاء على جميع افراد الاسرة .

وفى احد ايام سنة ١٩٢٠ قبل ان يترك والدى جانبا مهنة المحاماة التحق بخدمتنا خادم جديد .. لا يعلم شيئا عن وجود هذه الكوبرا .

حتى رآها ذات مساء . فارتاع لمرآها . وبمساعدة بعض الخدم استطاع قتلها . وعندما علم خدم المنزل القدامى بمصرع الكوبرا اصابهم الهلع .. وتشائمت والدتى . ولكن لم يكن هناك مفر من المصير . فقد وقع الحادث فعلا . وبعد ذلك الحادث بقليل ، بدأت التغيرات تصيب حياتنا . فتحول منزلنا الفخم الى منزل بسيط متواضع . كما أصبح والدى وجواهر وراء قضبان السجن . وكان الخدم يعزون هذا النحس الذى اصابنا الى مقتل الكوبرا .

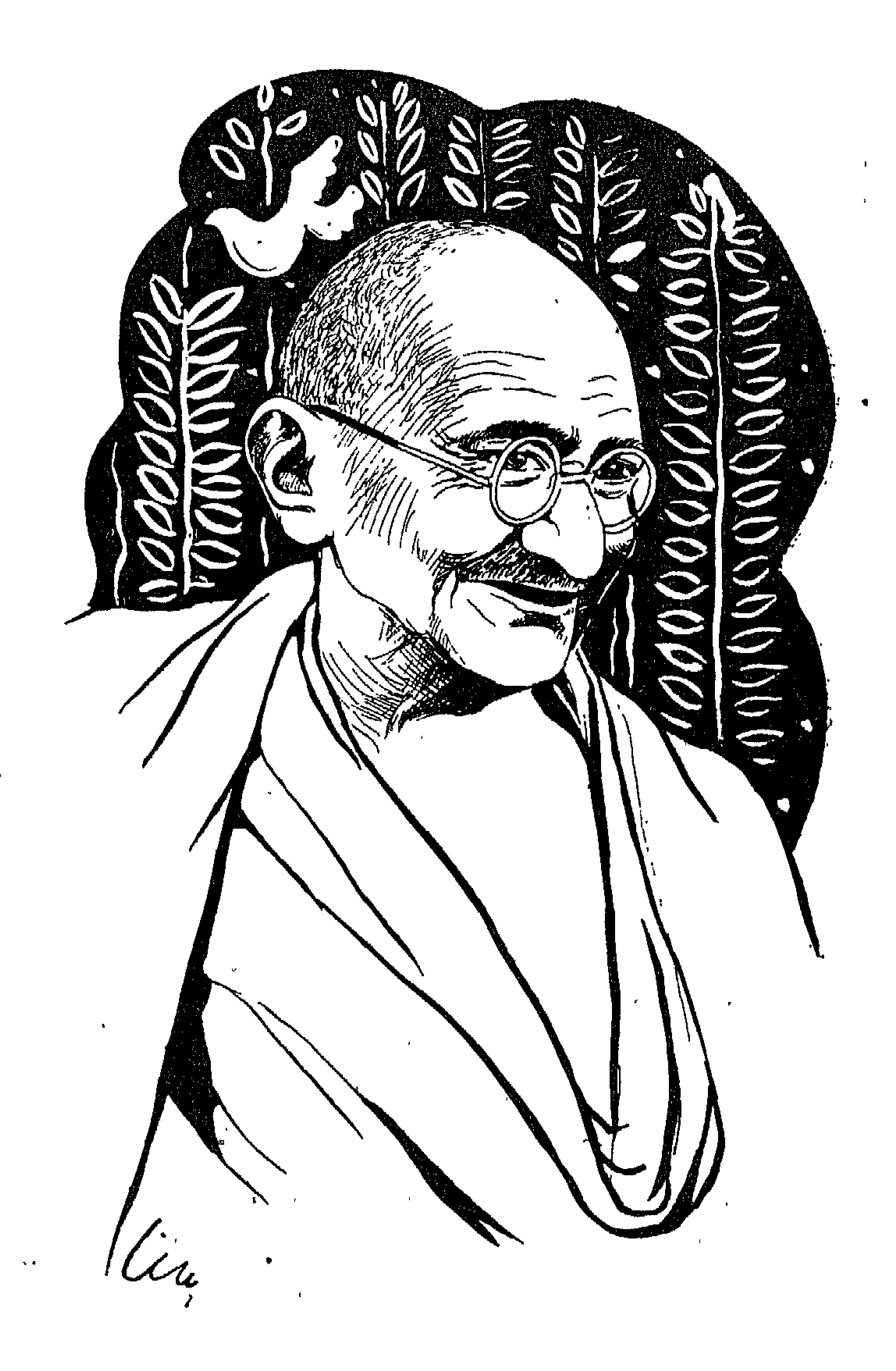
وكان «عدم التعاون» معناه بالنسبة لوالدى الانفصال تماما عن طريقته القديمة فى الحياة .. وبذل مجهود لتغيير حياته فى سن الستين لتلائم الوضع الجديد . ولم يكن يعن فقط الانتقال من الحياة المهنية وقطع علاقاته مع زملائه السياسيين .. ولكنه كان يعنى أيضا الابتعاد عن اصدقاء حياته المقربين ، الذين كانوا لا يستطيعون مقابلة والدى ولا بابو (غاندى) وجها لوجه . وكان معناها التضحية بجميع وسائل الرفاهية والحياة الناعمة المرغدة . ولكن بمجرد أن اتخذ والدى قراره .. اقتنع بان الطريق الذى سيتخذه هو الطريق السليم . وأخذ يعمل بكل قلبه لتحقيق الهدف دون أن يخالجه أقل نـــدم ..

وازداد حماس والدى وجواهر فى المسائل السياسية يوما بعد يوم . واصبح منزلنا الذى كانت الحياة تسير فيه من قبل وئيدة هادئة ــ فى حالة فوضى دائمة . فكان يأتى الينا الكثيرون من اعضاء المؤتمر من جميع انحاء البلاد لقضاء بضعة ايام ليناقشوا فيها المسائل الهامة وكانت الاجتماعات تعقد يوميا تقريبا وكان لا ينقطع عن منزلنا ابدا هذا السيل الذى لا ينتهى من الوفود ــ وكنت معتادة من قبل أن يكون منزلنا عامرا بالكثير من ضيوف والدى ــ ولـــكن هؤلاء الضيوف كانوا من نوع آخر تماما . كان ضيوفنا القدامى لا يأتون الا فى السيارات الفخمة او العربات التى تجرها الجياد المطهمة وكانوا يتنافسون فى التمسك بمظاهر الحياة ولكن مع بدء الحركة ابتعد عنا بعض أصدقائنا الاغنياء . وأصبحت أعيننا التى اعتادت مظاهر الفن والثروة لا تقع الا على رجال ونساء فى ثياب بسيطة متواضعة . ومع ذلك فكان يختلج فى قلب كل فرد منهم شجاعة نادرة وعزيمة لا تتزعزع لخدمة وطننا وتحريره من المستعمرين ولو ضحى فى سبيل ذلك بحياته .

وفي سنة ١٩٢١ وصلت الامور الى مرحلتها الحرجة . وبدأت الحكومة الانجليزية حملة الاعتقالات بالجملة وكانت أسرتنا على اتم استعداد لهذه الاحداث ودخلت السجن مع غيرها من المواطنين المكافحين وكان السجن في ذلك الحين شيئا غامضا لا نعلم عنه ألكثير . ولكن بعد فترة وجيزة جدا أصبح هو المنزل الثاني بالنسبة لمعظم أفراد اسرتنا .

وفي هذه الآونة زار البرنس اوف ويلز الهند وكان من القدر أن يمر على مدينتنا ـ الله أباد ـ وقبل وصوله ببضع أيام وصلت الى والدى رسالة من حاكم الله أباد يخبره فيها بان استخدام والدى لاراضيه واستقباله لزواره ومواعيد فتح ابواب بيته ستنظم وستكون كلها تحت الرقابة . وكان رد والدى على هذه الرسالة هو ان الحاكم ليس له من سلطانه ما يخوله حق الاشراف على ممتلكاته . وانه سيتصرف في ممتلكاته على النحو الذى يراه سليما وقانونيا . وأكد والدى له انه بوصفه من «عدم المتعاونين» سيعمل بنفسه على ان يكون البرنس اوف ويلز بمنأى عن اى سوء خلال زيارته للمدينة وكان الاعتقال هو مكافأة والدى على هذا التأكيد . ففي احدى الامسيات بلغنا انه ستجرى حملة تفتيش واسعة وانه سيلقى القبض على جميع الزعماء والاعضاء البارزين . وفي نفس المساء وكان ذلك يوم ٦ ديسمبر سنة ١٩٢١ أولانا البوليس شرف زيارته الاولى لمنزلنا ومعه اوامر لاعتقال والدى وجواهر ومنذ ذلك التاريخ ورجال البوليس يتوافدون بين الحين والاخر على منزلنا اما لاعتقال أحد أفراد الاسرة او لتفتيش منزلنا للبحث عن بعض المنشورات الموهومة والكتب الممنوعة . وكثيرا ما كانوا يحضرون لمصادرة عرباتنا أو ليخلصونا من الكثير من الاثاث الذى يزيد عن حاجتنا لتسديدالغرامات التى كانت تفرض على العائلة . . !!

واحدث وصول البوليس في تلك الليلة الكثير من الهرج في المنزل وكان بعض الخدم القدامى ثائرين لهذا الاعتداء وارادوا أن يضربوا رجال البوليس ويقذفوا بهم الى الخارج . ولكن والدتى أفهمتهم أن هذا ليس الا تصرفا سخيفا . وكنا كلنا تسيطر علينا حالة من الخوف لهذه الاعتقالات المفاجئة ولكن لم يكن يشاركنا في شعورنا هذا والدى ولا جواهر . وكان مما يقض مضاجعنا التفكير في هؤلاء الذين يقيمون وراء قضبان السجن . ولم نكن نعلم ماذا سيكون في انتظارهم هناك



من متاعب وآلات وكانت والدتى هى اكثرنا تأثرا لما أتت به الشهور القليلة الماضية من التغير المستمر الذى كان ككابوس لم تستطع معرفة كنهه بعد . ولكنها كانت زوجة شجاعة وكانت أما اشجع . فلم تكن لتسمح لنفسها ان تظهر امام الآخرين ما كانت تعانيه من الحزن .

وأتم والدى وجواهر استعداداتهما ثم ودعانا . ودخلا عربة البوليس التى حملتهما بعيدا الى سجن الحى . وكانت والدتى وكامالا يتسمان بشجاعة نادرة وهما يودعان زوجيهما الا انهما كانتا تقاسيان من الحزن الشديد وآلام الوحدة القدر الكثير جدا وعندما غابت عربة البوليس عن انظار اهل المنزل ــ ذلك المنزل الذى كان ممتلئا حياة منذ لحظة وجيزة ــ اصبح البيت فجأة هادئا واجا وقد حرم من جميع انواع المرح والسرور .

وكانت محاكمة والدى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٢١ امام قاضي الحى . وكان محامى الحكومة الذى بدأ المرافعة هنديا . وكان صديقا حميما لوالدى وزميلا له . ولكن لم تكن لديه الشجاعة لرفض اتهام والدى او الاستقالة من عمله . ولم أر فى حياتى من قبل انسانا غمره الخجل وسيطرت عليه العصبية مثل ما رأيت فى هذا الرجل خلال المحاكمة فكان طوال المحاكمة مثبتا عينيه على الارض ولم يحاول ابدا النظر الى والدى ــ واستمر فى اجراءات المحاكمة بصوت منخفض لا يكاد يسمع . وهو الذى كان من قبل يقابل والدى فى كل يوم تقريبا . وكان يستمتع فى منزلنا بكل ما يستمتع به الاصدقاء ولكنه تناسى هذا كله عندما اعتقل والدى .. وصدر الحكم على والدى وجواهر بالسجن ستة أشهر . وكانت هذه هى الرسالة التى أرسلها والدى الى اصدقائه عقب صدور الحكم عليه .

« لقد حاولت ان اخدمكم فى حدود امكانياتى حينما كنت بينكم . والآن ارى أن اعظم ما افخر به هو ان اقوم بخدمة وطنى بالذهاب الى السجن مع ابنى الوحيد . ولكنى واثق تماما باننا سنلتقى ثانية فى تاريخ قريب جدا كرجال أحرار . ولكن لى كلمة واحدة أود أن أقولها لكم ــ استمروا فى حملة عدم التعاون وعدم العنف بدون توقف حتى تتحقق المقاطعة السلبية وتطوعوا بالعشرات والمئات والالوف . واجعلوا موكب الحج الى معبد الحرية الوحيد الموجود الان فى الهند ــ أعنى السجن ــ مستمرا كالسيل لا ينقطع .. يزداد حجما وقوة يوما بعد يوم . وداعا » .

وكان هذا هو بدء حياة جديدة .. حياة غير مستقرة .. تقوم على أساس من التضحية والحزن والالم . وكان كل ما نقاسيه نتحمله فى صبر وجلد لاننا كنا على ثقة من أننا نكافح فى سبيل هدف عظيم ونبيل .. ورغم أن كلا مناكان يكره الافتراق عن والدى وجواهر .. الا أننا كنا فخورين بهما لانهما كانا يؤديان واجبهما ويقفان الى جانب وطنهم فى محنته التى يجتازها .

وبعد ذهاب والدى وجواهر ازدادت زيارات رجال البوليس لنا .. واصبح من المعتاد أن يحضروا الى المنزل كل بضعة أيام يبحثون فيه عن شيء وفى كل مرة كانوا يأخذون احدى قطع الاثاث او غيرها من الاشياء المنقولة كوديعة . ولم يكن يهمهم ماذا يأخذون . ولم تكن ضمائرهم تؤنبهم لاخذ سجادة قيمتها الالاف من الروبيات الى جانب مجموعة من الاشياء الاخرى بينما كانت الكفالة لا تتعدى خمسمائة روبية . وكنت فى المرات الاولى اكاد اموت غيظا . ولكننى أعتدت على ذلك فيما بعد .

وفى الفترة التى كان فيها والدى وجواهر فى السجن ، عقد المؤتمر احدى دوراته فى أحمد اباد وطلب غاندى الذى كان خارج السجن فى ذلك الوقت من والدتى ومن كامالا ان يحضروا هذه الاجتماعات . وقررنا نحن ان نقبل تلك الدعوة . فسافرت انا ووالدتى وكامالا وابنتها الصغيرة انديرا . وانضم الينا بعض بنات عمومتى الذين كان ازواجهن ايضا فى السجن . ولاول مرة فى حياتنا سافرنا فى عربات الدرجة الثالثة . وكانت هذه حينئذ تجربة جديدة بالنسبة لنا . ولكنها بعد قليل اصبحت شيئا عاديا وكانت الرحلة أبعد ما تكون عن الراحة كما كانت طويلة جدا .. ومع ذلك فقد كانت رحلة مشوقة .. وكانت درسا قيما لى رأيت فيه عن كثب الحب والايمان العميق الذى تحمله الجماهير لغاندى ولاعضاء المؤتمر الاخرين .. ففى كل محطة كنا نقف بها ، كانت الجماهير الغفيرة تحيط بعرباتنا بغض النظر عما اذا كان الوقت متأخرا او مبكرا . وكان يتدفق علينا فى كل المحطات سيل من الورود والهدايا الغذائية . كانت الجماهير تحاول ان تعبر بشتى الطرق عن تقديرها لهذه التضحيات التى يبذلها الزعماء لتحقيق الاستقلال والتحرر لابناء الهند . وكنت اعجب لاخلاص هذه الجماهير ولهذا الحب العظيم الذى كانوا يغمروننا به إذ كانوا يعتقدون اننا نساعدهم فى التحرر

من نير الاستعمار الاجنبى . وكانوا لا يترددون فى وضع مصالحهم ومستقبلهم بين يدى رجل واحد ضئيل الجسم ـ هو غاندى .

واخيرا وبعد رحلة لا تنسى وصلنا الى «سابارماتى اشرام» التى طالما سمعنا عنها الكثير .ولم نكن نعلم عنها الا القليل ـ وقابلنا غاندى بالترحاب .. وبعد ان استفسر عن صحة والدى وجواهر طلب من أحد رفقائه ان يصحبنا الى المنزل الذى سنقيم فيه . وكان احد منازل الطلبة .. وكان خاليا تقريبا من الاثاث ومن أى نوع من أنواع الزينة كما كان غير مريح اطلاقا . وكان علينا ان ننام جميعا فيما عدا والدتى .. فى حجرة واحدة اماهى فقد خصصت لها حجرة بمفردها وكان البرد قارسا جدا . ومع ذلك فكان علينا ان ننهض فى الرابعة صباحا لنشترك فى الصلاة ثم لنستحم ونغسل ملابسنا ولنقضى بعض الوقت فى «بابو» . وكنا نقضى بقية اليوم كما يحلو لنا . وكان هذا الصحو المبكر مهمة شاقة حقا وخصوصا فى الايام الاولى . ولكن كان لابد من تحمل تلك المشقة . فقد كانت هذه الصلوات التى تقام صباحا على ضفاف «السابارماتى» جميلة جدا وكنت احاول الا اتخلف عن حضور اى منها .

وكانت «اشرام» تتكون من عدد كبير من الاكواخ الصغيرة المنتشرة هنا وهناك وكان الكوخ الرئيسى هو كوخ غاندى «بابو» وكان يحتل الاكواخ الاخرى ماهاديو ديزى واولاد اخوة غاندى وكثيرون من العاملين فى حزب المؤتمر . وكانت كل مجموعة من العائلات تشترك فى الاقامة فى كوخ واحد . وكان المفروض أن يفترش كل منا الارض . ولكنى لم اكن احب ذلك . ومع ذلك فسرعان ما اعتدت على هذا النوع من الحياة ـ اما الغذاء الذى كنا نتناوله فكان بسيطا جدا . .. بسيطا الى درجة بعيدة . فلم يكن يحتوى على تلك المواد التى تعطى للطعام مذاقا شهيا فقد كان طعامنا مغليا فقط . وكان من الغريب علينا ان نتناول مثل هذا الطعام فى اول الامر .. وكنت دائما فى حالة شديدة من الجوع أتوق بفارغ الصبر الى اليوم الذى أعود فيه الى منزلنا لاتمتع بأكلة شهية .

وكان علينا ان نغسل ملابسنا فى اشرام . ولم يكن غسل الملابس الكاكية بالامر السهل . فكانت ملابسنا الوطنية التى نرتديها (التى أطلق عليها (السارى) جامدا جدا . وكنا جميعا نغسل ملابسنا ولم يستثن من ذلك الا والدتى وقريبة لنا مسنة فقد خصص غلام صغير

ليقوم بغسل ملابسهما . ولم تكن محاولتنا الاولى فى الغسل بسيئة جدا ومع ذلك فعندما اوشكنا على العودة الى منازلنا كان البعض منا قد اصبح ماهرا فى غسل الملابس . ولكنى لم اكن واحدة من هؤلاء . .!!

واقمنا فى أحمد اباد اسبوعين رجعنا بعدهما الى منزلنا ــ ومرت بنا فى عودتنا نفس الاحداث والتجارب التى مرت بنا فى سفرنا . وكانت هذه من التجارب العظيمة التى مرت بى فى حياتى ولن تفارق ذاكرتى ابدا بل ستظل دائما قائمة فى مخيلتى ــ اعنى اقامتنا فى اشرام ومعرفة بابو عن كثب .

وكثيرا ما كان يحضر بعض الافراد الى غاندى ليستفتوه فى مشاكلهم الشخصية وكان هذا عملا غير كريم منهم .. فقد كان الرجل يحمل ما يفوق طاقته من المشاكل العامة . ولم اكن أفهم ابدا لماذا يرضى غاندى باعطاء مثل تلك النصائح الشخصية . فلربما سارت الامور على عكس ما كان مقدرا لها ، فيقع اللوم على غاندى المسكين .

وبعد رجوعنا من أحمد أباد بقليل اطلق سراح جواهر .. وكان قد امضى ثلاثة اشهر فقط من مدة عقوبته . ولكنه لم يبق حرا طليقا لمدة طويلة فبعد ستة أسابيع فقط كان فى طريقه ثانية الى ما وراء القضبان . ومنذ ذلك الحين أصبح الدخول والخروج من السجن عادة لا شفاء منها بالنسبة لافراد العائلة . .

ومضت الحياة هكذا .. يوما بعد يوم . وشهرا فى اثر شهر .. وانتقلت دراستى الى المنزل الذى لم نكن نغادره كثيرا اللهم الا فى زياراتنا العديدة للسجن وفى سنة ١٩٢٣ أطلق سراح جميع المسجونين السياسيين . وكم كان جميلا جدا ان يعود والدى وجواهر الى بيتهما وان تتجاوب فى انحاء المنزل الذى ران عليه السكون فترة طويلة .. رنين ضحكات والدى .

وعادت الحياة مرة أخرى الى اناندبهوان . . . .



الدنيا كلها سواء عند رغبات الطفل ،

يلهو بالصور ،

الى جوار المدفأة فى حجرته ..!

كم تبدو الدنيا واسعة ،

عندما ننظر اليها من جانب المصباح..

وكم تبدو صغيرة ،

عندما نعود اليها بذاكرتنا ..

شارل بودلير

## - ٣ -

ألقى القبض على جواهر فى مقاطعة «نمابها» فى أواخر عام ١٩٢٣ وما أن أفرج عنه وعاد الى بيتنا حتى ظهرت عليه أعراض التيفود وظل شهرا أو أكثر فى حالة خطرة من المرض ٠٠ وعندما شفى من مرضه بدأنا نتنفس فى مزيد من الحرية ٠٠

وهنا بدأت فترة استراحة فى رحلاتنا المعتادة الى السجن واستطاع كل منا أن يرى الآخر لفترات أطول ٠٠ وكنا على وشك الانتهاء من مؤتمر جايا عندما اقتنع والدى هو و « داس » بفكرة حزب « سواراج » (★) وكان أول اجتماع لهذا الحزب فى « اناندبها وند » وأصبح داس رئيسا له كما أصبح والدى سكرتيره العام ٠

وفى يونية عام ١٩٢٥ مات داس وأصبح والدى هو الرئيس ٠٠ ولم يكن داس زميلا كريما لوالدى فحسب ولكنه كان أيضا صديقه الحميم ٠٠ لذلك كان موته صدمة قوية لوالدى ٠٠ وكان والدى مشغولا بالجمعية التشريعية حيث كانت مهمته كزعيم للمعارضة وكرئيس لحزب « سواراج » تناسبه تماما ٠٠ وفى

---

(★) فى عام ١٩٢٤ عاد اعضاء حزب المؤتمر فى الجمعية التشريعية الهندية الى هذه الجمعية بعد امتناعهم عنها مدة ثلاث سنوات تنفيذا لقرار عدم التعاون وذلك تطبيقا لبرنامجهم الخاص بالدعاية والمعارضة البرلمانية .. ولم تكن هذه الجماعة تكون من الناحية الرسمية حزب المؤتمر على نحو ما هو قائم الان .. فقد كانت مكونة تحت اسم حزب «سواراج» بزعامة المرحوم بانديت موتيلال نهرو و «داس» زعيم البنغال فى ذلك الحين .

مارس سنة ١٩٢٦ قاد والدى حركة انسحاب حزب « سواراج » من الجمعية التشريعية أثناء انعقادها فى دلهى تنفيذا لتعليمات الحزب التى اتخذها لمواجهة موقف الحكومة من بعض الإصلاحات ٠٠ وكان خطاب والدى فى هذه المناسبة رائعا ٠٠

وكنت فى تلك الايام كثيرا ما أزوره فى دلهى وأمكث فى زيارته أسبوعا أو نحوه وأحضر إجتماعات الجمعيه ٠٠ وقد كنت فخورة دائما بوالدى بطلعته المتعالية أو بملابسه البيضاء الناصعة الارستقراطية ٠٠ وكنت أعجب بطريقته فى معالجة ما يصعب تناوله من مشاكل وبسيل الاسئلة الذى كان ينهال عليه فى كل اجتماع ٠٠ وكان صلبا لا يعرف المساومه فى أى أمر يكون حزبه قد اتخذ فيه قرارا ٠٠ وكان فى بعض الأحيان يؤاخذ زملاءه فى العمل بلا رحمة — كما كان يبدو لى — لأى خطأ يرتكبونه أو لأى ضعف كان خليقا بهم ألا يترددوا فيه ٠٠ وبرغم سلوكه الذى يمكن أن يقال عنه أنه اتوقراطى فقد كان موضع حب كل الذين كانوا يعرفونه ويفهمون شخصيته ٠٠ أما أعداؤه فكانوا يخافونه ويفضلون دائما أن يبعدوا عن طريقه ٠٠

وكنت أحب حضور جلسات الجمعية التشريعية على الأخص عندما تلتهب فيها المناقشات ٠٠ وعندما كان والدى يدعو البعض الى منزله فى دلهى كنت حينئذ أقوم له بمهمه المضيفة فى غياب والدتى ٠٠ وكنت استمتع كثيرا فى هذه المناسبات باستقبال أصدقائه ٠٠

وكان عم زوجى « كاستربهاى لالبهاى » — وهو من أصحاب المصانع المعروفين — عضوا فى الجمعيه التشريعية حينذاك فكان راجا — زوجى — ينزل عنده فى بعض الاحيان ٠٠ ويدعى راجا أنه رآنى أول ما رآنى هناك فصمم على أن يتزوجنى !! ولكنى للأسف لا أذكر هذه الزيارة الامر الذى ما زال يضايق راجا الى الآن ٠٠ ولكنى لست آسفة أبدا على تصميمه أن يتزوجنى — قبل أن نتزوج فعلا بثمانى سنوات ٠٠ !!

وعند نهاية عام ١٩٢٥ سقطت كمالا صريعة المرض ٠٠ وقد كانت تتألم منذ عدة سنوات مضت مما سبب لجواهر ولوالدى قلقا

رهيبا .. وقد نصح الاطباء بسفرها الى سويسرا للعلاج .. وفى مارس عام ١٩٢٦ أبحر جواهر الى أوروبا وبصحبته زوجته وابنته انديرا .. وقد سافرت معهم أيضا أختى سواروب وزوجها رانجيت . وكانوا قد رتبوا جميعا هذه الرحلة منذ زمن مضى ..

وكان والدى قد عزم على السفر الى أوروبا هو أيضا فى يونية من نفس العام وكان قد عزم على اصطحابى معه .. فلم يكن قد استمتع بأية أجازة طوال سنوات مضت .. ومع العمل القاسى الذى كان دائبا على أدائه فقد شعر بأنه فى حاجة الى بعض التغيير والراحه ..

ولكنه اضطر للأسف ـ وفى آخر لحظة ـ الى الغاء هذه الرحلة بعد أن استحال تأجيل احدى قضاياه الهامة المرفوعة أمام المحاكم . وكان قد قبل المرافعة فى هذه القضية أثناء عمله بالمحاماة .. ورغم كراهيته الشديدة للعودة الى الظهور أمام المحاكم من جديد الا أنه كان يرى من واجبه أن يظل حتى النهاية الى جانب موكليه القدامى .

وقد ظل كثيرون من موكليه القدامى يترددون عليه حتى بعد أن اعتزل المحاماة .. كل يتوسل اليه أن يقبل قضيته على سبيل الاستثناء ولكن والدى كان يرفض دائما . ولم تكن الاتعاب العالية التى تعرض عليه تثنيه عن عزمه . وحدث مرة أن أتى عميل لوالدى يحمل زكيبة من الروبيات كأتعاب لمباشرته لاحدى القضايا التى يرغب فى توكيله فيها .. وقد نظر اليها والدى باحتقار ونظر الى وقد كنت بالقرب منه وقال « ما رأيك يابنتى .. هل تعتقدين أنه من الخير قبولى هذه القضية ؟ » ولم أكن أعرف ماذا أقول فترددت لبضع ثوان ..

كنت أعرف أنه لم يكن لدى والدى الا القليل من المال حينذاك .. وأن هذا المبلغ سيكون ذا قيمة كبيرة فعلا .. ولكن الامر لم يكن يبدو سليما .. لذلك قلت فى بساطة « لا يا والدى لا أعتقد أنه من الصواب » . فأمسك والدى بكفى فى سرعة كما لو كان فخورا بقرارى والتفت الى عميله القديم وقال « اننى آسف .. فأنت ترى أنه حتى ابنتى تعترض » .. وقد أحسست فيما بعد



أن والدى انما سألنى ليعرف ما اذا كنت ابنته التى يريدها أم تلك التى تهزها الفتن وتصبح غير جديرة به ٠

ولم أكن حتى ذلك الحين قد تركت المنزل بغير صحبة أسرتى ولم أكن قد رحلت وحدى أبدا ٠ كذلك فلم يكن والدى يعراف ماذا يفعل بى ٠٠ هل يدعنى أسافر الى أوروبا وحدى أم يلغى رحلتى أيضا ٠ ولقد بحث الامر معى وترك لى الحرية فى اختيار أى طريق أشاء ٠٠ وترددت كثيرا ونازعتنى الرغبتان ٠ فقد كنت أكره فكرة السفر وحدى ٠٠ على الأخص بعد ان رتبت أمرى على السفر مع والدى٠٠ ولكن إنتابنى شعور بأننى اذا لم أغتنم هذه الفرصة فربما لن تسنح لى غيرها فى المستقبل القريب ٠٠ لذلك قررت أخيرا ان أسافر ٠٠ وأعتقد ان قرارى هذا كان سليما ٠

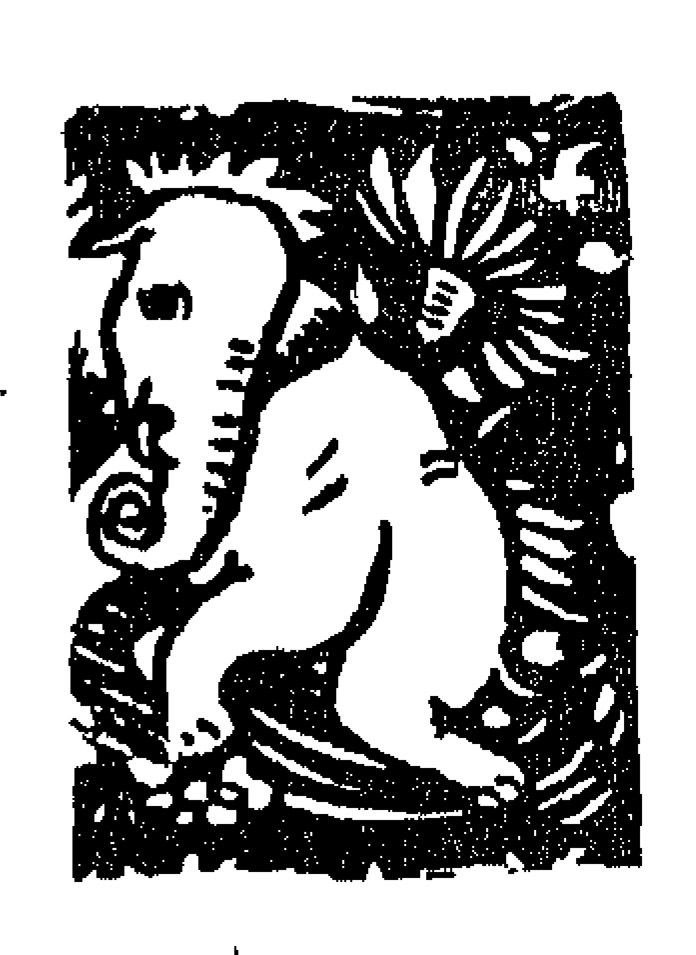
وقد تضايقت والدتى جدا اذ سمح لى والدى بأن أتخذ مثل هذا القرار بمفردى ٠٠ فقد كانت تعتقد أنه ليس من اللائق أبدا أن تسافر فتاة صغيرة الى بلد غريب بمفردها ٠٠ وحاولت أن تثنينى عن عزمى ٠٠ ولم أكن أرغب فى مضايقتها ولكنى كنت تواقة الى الرحيل ٠٠ وبعد عدة مناقشات أبحرت الى أوروبا ـ وقد رفعت حجابى لأول مرة فى حياتى ـ ينتابنى بعض الخوف وبعض القلق فى انتظار ما سألقاه من حياة جديدة ٠٠

وقد كنت فى الايام الاولى لرحلتى على ظهر الباخرة وحيدة تعسة ٠٠ ولكن سرعان ما نشأت الصداقات بينى وبين الآخرين ومر الوقت سريعا سعيدا ٠٠ وكان على ظهر الباخرة عدد من الاصدقاء جعلوا مهمتهم حمايتى اذ كنت وحيدة وبغير حماية ٠٠ وفى كل مرة كانت تقع أنظارهم على أحادث شابا ـ وقد كان الشباب قليلون على ظهر هذه الباخرة ـ كانوا يلقون على محاضرة قائلين أنه من الخطورة بمكان أن أعامل ببساطة رجالا غرباء ٠٠ وعندما كانت تدق الساعة العاشرة مساء كان على أن أذهب الى فراشى ٠ وقد خضعت لهذا النظام لبضعة أيام ولكنى أعلنت الثورة عليه بعد ذلك ٠٠ وصممت على موقفى رغم مزيد من المحاضرات والنظرات القاسية !! ٠٠

كان جواهر فى ذلك الحين يقيم فى جنيف وكان عليه أن

يستقبلني في برنديزي • ولكنه لم يصل في الوقت المناسب بعد أن فاته القطار • فانتابني شعور مخيف بالوحدة ولولا وجـود بعض الاصدقاء الذين غادروا السفينة هناك معي لكنت أشد الناس تعاسـة ••

وقابلني جواهر في نابلي . ولم نذهب من هناك مباشرة الى جنيف بل عرجنا على روما وفلورنسا وبعض المـدن الاخرى في طريقنا • وقد وقعت في حب أكثر ما شاهدت هناك • وقد كنت قرأت كثيرا عن روما وفلورنسا وغيرهما من المـدن •• وكانت عظمة روما القديمة تهزني دائما •• وكانت هذه الرحـلة هي الفرصة التي سنحت لي لأرى جواهر كثيرآ فاكتشفت فيه رفيقا مثاليا ورائدا ممتازا •ولم يعد بعد ذلك الأخ الأكبر الذي كنت أقف منه موقف التقدير العميق • بل أصبح زميلا محبوبا وكانت تلك الايام القليلة التي مكثتها معه وجها لوجه من أسـعد أيام حياتي ••





هل يجب أن نبكى دائما ،

أيامنا الاكثر سعادة ..

هل يجب أن نحمر خجلا ،

لما قاساه آباؤنا ..

أيتها الارض ..!

اخرجى من باطنك ،

رفات موتانا من الاسبرطيين

فمن بين الثلاثمائة الذين تضمينهم ،

هناك ثلاثة فقط ،

يستطيعون أن يبنوا الحياة من جديد

بيرون

## - ٤ -

عدنا من موسكو بعد أن قضينا بها إسبوعا واحدا وذهبنا الى برلين وبعدها الى باريس ٠٠ وبعد بضعة أسابيع تركناها الى مارسيليا حيث أبحرنا فى طريق العودة الى أرض الوطن ٠٠

وبرغم شوقى الى العودة لرؤية والدتى التى لم أتركها طول حياتى مثل تلك المدة فقد شعرت ببعض الضيق والحزن يوم تركنا باريس ٠٠ فقد قضيت بها كثيرا من الايام السعيدة وبدأت أحب تلك المدينة المرحة الجميلة ٠ ولم أكن قد أدركت حتى قبيل رحيلنا عنها مدى ما تتمتع به باريس من جاذبية قوية رائعه ٠٠ وعندما بدأ قطارنا يغادر محطتها فى بطء كنت أسائل نفسى متى يقدر لى أن أزور هذه العاصمة الفرنسية الخيالية مرة أخرى ٠ ولا أدرى كيف تملكنى شعور غريب بأننى ربما لن أراها ثانية ٠٠ وأننى حتى اذا زرتها فستكون قد تغيرت كثيرا ٠

أما والدى فقد قرر أن يبقى فى أوروبا بضعه أشهر أخرى — وكان قد لحقنا فى صيف عام ١٩٢٧ بعد أن نال منه الاجهاد شيئا كثيرا — وهكذا عدنا الى الهند فى ديسمبر من ذلك العام عن طريق كولومبو ٠٠ جواهر وكمالا وابنتهما انديرا وأنا ٠ وكان من المقرر إن يعقد المؤتمر الهندى القومى فى ذلك الشتاء فى مدراس فقطعنا الرحلة لحضوره ٠٠ وقضينا عشر ليال فى مدراس عدنا بعدها الى « الله آباد » ٠٠

وعندما عدت الى منزلنا ٠٠ والى كل الاشياء الحبيبة المألوفة فى حياتى غمرنى شعور غريب بالقلق ٠٠ كنت أبعد ما أكون عن السعادة أو الرضا طوال الشهور الاولى من عودتى ٠٠ كانت الحياة فى أوروبا مليئة بالنشاط ٠٠ أما فى بيتنا فقد أحسست

بالضياع ولم أدر كيف أشغل أيامى بأشياء أخرى الى جانب القراءة
•• وشعرت بالضيق وبعدم قدرتى على الرجوع الى نظام حياتى
القديم ••

وفى تلك الايام سمعت بنبأ قرب افتتاح مدرسة فى الله آباد
على نظام « مونتيسورى » •• وقد كنت دائما شغوفة بالصغار كما
كنت مهتمة بهذا اللون من التعليم وكنت أعلم عنه الشىء الكثير••
لذلك فقد قررت أن أحاول الحصول على وظيفه فى هذه المدرسة
ولكننى نسيت أنه كان من واجبى أن أحسب حساب والدى •
وكانت أختى وزوجها قد عادا الى أوروبا خلال تلك الفترة ••
تاركين إبنتيهما « تشاندراليخا » و « تيانتارا » فى رعايه والدتى •
ولما كانت صحة والدتى على غير ما يرام فى ذلك الحين فقد كان
على أنا أن أرعاهما •• ورغم جمالهما الا أن هذه المهمة لم تكن
بالشىء اليسير •

وكان والدى قد عاد لتوه من أوروبا حينما انتهزت فرصة صفاء
مزاجه يوما فعرضت الموضوع فى لباقة •• قلت له أننى أشعر
بضيق وأريد أن أشغل نفسى بعمل ما يقتطع من يومى خمس أو
ست ساعات على الاقل •• عمل يتناسب معى • وقد وافق والدى
على ما قلت وسألنى ان كانت لدى أية فكرة عن مثل هذا العمل•
واقترح على أن أعمل شبه سكرتيرة له أو لجواهر • وبرغم وجاهة
هذه الفكرة الا أننى كنت أعلم تماما انها لن ترضينى •• فلن
يكون لهذا العمل ساعات معينة ولن يكون منظما •• فقلت له ان
هذا يختلف عما كنت أفكر فيه •• وأخبرته بنبأ المدرسة
الجديدة وعبرت عن رغبتى فى أن أقوم بالتدريس فيها ••

وقد بدا والدى أول الامر كمن لا يصدق ما يسمع •• ولكنه
عندما رأى أننى جادة تماما فيما قلت رفض المسأله من أساسها••
قال اننى لن أكون سعيدة وأنا أقضى كل هذا الوقت مع بضعة
من الاطفال •• وأننى أستطيع اذا أردت ان أذهب الى هناك ساعتين
أو نحوهما كل يوم لمجرد قتل الوقت••وقد قدرت حينئذ أن
والدى لم يظننى جادة فى هذا الموضوع لذلك فقد أعدت عليه
الكرة مرة أخرى مستجمعة شجاعتى كلها بين يدى ـ وكان الامر
فى الواقع يحتاج الى بعض الشجاعة ـ وأخبرته فى أدب أننى قد

تقدمت فعلا فى طلب هذه الوظيفة ·· وأن طلبى قد قبل ·· واننى لا أريد الا موافقته · كما أخبرته أننى لا أريدها وظيفة شرف ··

وما كدت انتهى من كلامى حتى اندفعت العاصفه كما كنت أتوقع تماما فلم يكن والدى يعارض فى أن أعمل ولكنه يصر على أن يكون ذلك بلا مقابل أى وظيفة شرف · وطال نقاشنا فى هذا وأصررت على موقفى وأصر هو على موقفه ·· !! وهكذا ذهبت أحلامى وآمالى فى أن أكون فتاة عاملة ·· كنت أحب والدى الى حد أننى لا يمكننى معارضته أو عصيانه ولكن لأول مرة فى حياتى كرهت سلطانه من أعماقى · وآثرت السلامة وأخذت أبحث فى الطرق والوسائل التى يمكننى بها تغيير رأيه - الامر الذى لا يقدم عليه بسهولة · حاولت أن أستعين بأمى ·· ولكنها هى الاخرى رفضت لأسباب كانت مقتنعة بها تماما ·· فقد كانت تريدنى أن أتزوج واستقر وكانت تعتقد أن قيامى بهذه الوظيفة يقلل فرص الزواج أمامى ·

فذهبت الى جواهر الذى أسعدنى ليس فقط بموافقته على العمل بل وباقتناعه أيضا بأن يكون عملى بأجر · ووعدنى بأن يقنع والدى بالموافقة · وكان جواهر سعيدا جدا بقرارى · فتركت الامر بين يديه وأملت خيرا واسترحت ·

ولم يوافق والدى الا بعد كثير جدا من المناقشات .٠ فانضممت الى أسرة المدرسة ·· ومكثت حوالى العام والنصف أعمل هناك وأنا فى حالة بالغة من الرضا · ثم اننى قدمت استقالتى بعد هذه المدة لرغبتى فى الاشتراك فى الحياة السياسية وعدم امكان الجمع بين العملين · فالسياسة عمل يتطلب كل الوقت ·· وكانت حركة العصيان المدنى قد قامت وكنت أريد ان أعطيها كل وقتى ··

وخلال ذلك العام كان هناك قدرا ضخما من النشاط يجتاح كل أجزاء الهند ·· فقد زاد الوعى السياسى للجماهير التى بدأت تتقدم بشجاعة وعزم جديدين · وكان المرء يحس بأن النشاط قد بدأ يصحو فى كل مكان · وكان يبدو فى الأفق كأن شيئا ما على وشك الوقوع ·· شىء لا يمكن لقوة على الارض ان تقف فى سبيله ·· وكان هذا الشىء أظهر ما يكون بين جماهير الفلاحين

فى « المقاطعات المتحدة » حيث ظهرت فى تلك الايام عدة اضطرابات فيها • كما كانت حركة الشباب تنتشر بسرعة وفى فترة وجيزة جدا تشكلت لجان « عصبة الشباب » فى كل بقاع الهند •• وعقدوا المؤتمرات ووهبوا أنفسهم للعمل فى سبيل استقلال الهند•• وراح الفتيان والفتيات فى القرى يعيشون بين أهلها فترات معينة للعمل فى صفوف القرويين •

وعملت فى تلك الفترة فى سكرتارية هيئة الشباب فى اللهآباد مع طالب بنغالى وكان جواهر هو الرئيس • كان زميلى فى السكرتارية شابا وسيما شجاعا مليئا بالحرارة والحماس ولكنه بعد بضع سنوات نسي ولاءه للمؤتمر وتغيرت آراؤه كما تغير مجال عمله • وفقدنا كل أثر له •• وكثيرون من زملائى فى تلك الايام انتقلوا الى معسكرات مختلفة •• وأصبح كثيرون منهم شيوعيين •• وعندما أقابل بعضهم الآن أحس بأننى أمام غرباء وليسوا هؤلاء الزملاء القدامى فى العصبية الذى عملت معهم فترة طويلة وواجهنا معا عصى البوليس الغليظة والمتاعب التى لم تكن تنتهى •

وفى عام ١٩٢٨ عقد مؤتمر كلكتا برئاسة والدى • وذهبنا اليها فى جماعة كبيرة من اللهآباد فى عربات خاصة ألحقت بالقطار • وهناك أنزلونا بوصفنا ضيوفا على المؤتمر – فى منزل كبير حلى بالزهور والاعلام تكريما للرئيس • ووقف جماعة من الفتيان خارج بوابة المنزل الكبيرة فى ملابس رسميه يمتطون الخيول فى نوبات للحراسة • كانوا شبابا أذكياء نشطين على جانب عظيم من المروءة •• وعندما كان يخرج والدى من المنزل فى سيارته كانوا يحيطون به فتتقدمه جماعة منهم يركبون الخيول وقد رفعوا هاماتهم وبدا عليهم الاعتزاز بأنفسهم •• تتبعها سيارة أخرى من الحرس المتطوع يقف فى وسطها « سابهاس بوس » فى حلة رسمية •• ثم تسير بعد ذلك سيارة والدى •• وكان المشهد يبدو رائعا •

ولكن هذه المظاهر أثارت أعصاب والدى بعد فترة من الزمن•• فطلبت من المسئولين أن يتركوه فى غدوه ورواحه بغير حراسة فلم يكن يعتقد أن هناك أى خطر على حياته ••



وفى هذه الدورة لانعقاد المؤتمر بدأ الخلاف فى وجهات النظر يبدو واضحا بين جواهر ووالدى • وكثيرا ما كانت تدور بينهما المناقشات وتظهر الخلافات ولكنها لم تصل أبدا الى الدرجة التى وصلت اليها الآن • كان والدى تواقا الى اقناع مؤتمر كل الاحزاب بالموافقة على نظام « الدومنيون » بعد أن ظهر أنهم لا يوافقون على المطالبة بالاستقلال الكامل • ولكن جواهر لم يكن موافقا على هذه المساومة • واستمر هذا الخلاف النظرى بين الوالد والولد وأصبح الجو فى المنزل وفى خارجه على السواء يزداد حدة يوما بعد يوم • وفى الجلسة العلنية وافق المؤتمر على نظام الدومنيون ولكن جواهر عارض القرار •

وفى العام التالى انتخب جواهر رئيسا للمؤتمر الذى عقد فى لاهور • ولم يسبق فى تاريخ المؤتمر أن انتقلت الرئاسة من الأب الى الابن •• وكان الامر بالنسبة لوالدى فرصة عظيمه • فقد سلم مهامه الى ابنه فى فخر وسعادة •• ولم يكن الارث فى هذه المرة خاصا بممتلكاته فى الدنيا بل كان صولجان الرئاسة فى الحقل السياسى وهو أعظم شرف يمكن أن تسبغه بلادنا على أحد أبنائها •

وكانت هذه الدورة للمؤتمر تاريخية من أكثر من ناحية •• ففى صباح أحد أيام ديسمبر الباردة اجتمع ألوف من أفراد الشعب على ضفاف نهر رافى ووهبوا أنفسهم فى سبيل الاستقلال الكامل • وبهذا القرار أشرق فجر جديد على بلدنا • تجمع الرجال والنساء والاطفال برغم البرد القارس •• وهناك •• وتحت سماء صافية زرقاء وقفوا يقسمون على المطالبة بالاستقلال فى هدوء وإحساس عميق •• وكان جواهر يقرأ القسم والجماهير تردده وراءه ••

وهكذا وهبت بلادنا نفسها للحرية •• وبرغم نكوص عدد قليل من أبنائها منذ شتاء ذلك العام – ١٩٢٩ – فقد حافظ الالوف والالوف على كلمتهم وعانوا وكافحوا فى سبيل تحقيق الاستقلال « سواراج » الذى لن تهدأ الهند قبل الحصول عليه •

وعدنا الى الله آباد بمجرد انتهاء هذه الدورة ولم يكن

المستقبل يبدو مشرقاً ٠ كان واضحاً أن كثيراً من المتاعب والآلام والكفاح في انتظارنا ٠٠ ولكنها لسبب ما لم تكن لتهبط بأرواحنا٠٠ بل على العكس تماما ٠٠ فقد شعرنا بالقوة لمواجهة المستقبل ٠٠

وكان والدى قد وهب منزلنا القديم المتشعب قبيل انعقاد هذا المؤتمر بعدة شهور ٠٠ فقد كان يرغب منذ أمد طويل في هذا ولذلك فقد شعرت بسعادة لا تقدر لهذا العمل ٠ وانتقلنا نحن الى المنزل الجديد الذى كان قد بناه جواهر وأسرته الصغيرة ٠٠ كان المنزل جميلا وكان والدى فخوراً به الى أبعد الحدود ٠ وكنا قد قضينا عدة ساعات خلال رحلتنا الى أوروبا نشترى أنا ووالدى المعدات الكهربائية وغيرها مما يلزم لهذا المنزل الجديد ٠ ولم يكن والدى يحس بأى تعب في تجوالنا لشراء هذه الاشياء وكانت سعادته بها شيئا يثير في النفس الرضا ٠

وكان لا بد من تسمية المنزل الجديد « أناند بهواند » أيضا فلم يكن والدى يصدق أنه يمكنه ان يعيش الا في «أناند بهواند»٠ أما المنزل القديم فقد تغير اسمه الى « سواراج بهواند » ـ وسواراج معناها الاستقلال ـ وهو ما يزال يستخدم في جزء منه مستشفى للمؤتمر وفي الجزء الآخر مكاتب للجنة المؤتمر الا في الحالات التى يغلق فيها البيت بالشمع الاحمر بمعرفة البوليس ٠٠ وهى حالات ليست بالقليلة ٠٠ !!

وفى ١٢ مارس عام ١٩٣٠ بدأ غاندى سيره المشهور الى داندى(*) لخرق قوانين الملح مع مجموعة مختارة من أتباعه ٠

---

(*) يخضع الملح العادى لضريبة محلية فى الهند . وقد فرضت ضريبة الملح التى كرهها الشعب عقب حركة العصيان ولهذه الضريبة تاريخ من المقاومة الشعبية . وقد اختار غاندى خرق قوانين الملح شعارا لتوسيع حركة عدم التعاون وقام مع جماعة صغيرة من اتباعه بالسير من مكان خلوته الى الساحل عند داندى ويقع على بعد عدة اميال وذلك لكى يخرق قوانين الملح بان يصنع منه كمية من ماء البحر وكانت هذه القوانين تحرم صناعة الملح الا على الحكومة او بتصريح منها . وعندما قامت جماعة المهاتما غاندى برحلتها الى داندى كانت قد اخترقت عديدا من القرى التى قام أهلها بالانضمام الى الموكب . ففى نفس الوقت الذى نظمت فيه عدة مواكب اخرى فى كل انحاء الهند واصبح الملح يصنع علنا بالمخالفة لاوامر الحكومة . وكانت تلك الحركة جديدة فى نوعها حينذاك وأدت الى خلق حركة مقاومة شعبية واسعة فى عدة ايام .

وتبعه فى هذا السير خضم زاخر من البشر .. ووقفت الهند كلها تراقب ذلك الرجل النحيل يشن حربا جديدة من عـــدم العنف ليكسب لهم الحرية والعدل اللتين حرماهما منـــذ زمن طويل . واشتركت كل قرية وكل مدينة فى خرق قوانين الملح احتجاجـا على الاحتكار الكريه الذى تقوم به الحكومة بالنسبه للملح . أمـا نحن فى الله آباد فقد نظمنا موكبا ضخما واجتماعا كبيرا قام جواهر فيه بصنع أول كمية من الملح .

لم يقبض على غاندى فى داندى كما كان متوقعا . وسمح له بالذهاب الى القرية المجاورة لها .. وهناك .. وعندما انتصف الليل ألقى القبض عليه . ومن الغريب حقا ان تعمد حكومه قوية الى اتخاذ أساليب لصوص الظلام من إثارة مشـــاعر شعب كانت تعتقد أنها يمكنها تحطيمه بالقوة .

وقد ألقى القبض على جواهر بعد ذلك بقليل .. وفجأة اشتعلت الحركة فى كل مدينة وقريه . وبدأت حملة عنيفــه من الارهاب أستخدم فيها الرصاص والعصى الغليظة والاعتقالات ضد الجماهير الصلبة المؤمنـــة بعدم العنف . ووقف الشعب يدافع عن شرفه وكرامته وعن حقوقه الغالية ويتحمل فى شجاعة حمله الهجمـــات البربرية على أفراده .

قدمت استقالتى من عملى فى مدرسة مونتيسورى وتطوعت فى الحركة .. كنت أقضى معظم وقتى فى حراسه محلات الاقمشة الاجنبية .. وفى التدريب .. وتنظيـــم المواكب وغير ذلك من الاعمال التى يعهد بها الى المسئولون فى المؤتمر .

وكان أبى يكره رؤيتنا ــ كمالا وأختى وأنا ــ نقضى اليوم كلـه تحت لهيب الشمس المحرقة ولكنه لم يكن يعارضنا أو يحـــاول ارغام أى منا على ترك العمل الذى نقوم به . ولم يكن يتمتع هــو حينذاك بكامل صحته . وكان فى حاجة الى أولاده بجانبه . وكان جواهر فى السجن وكان أبى لا يريد أن نتعرض نحن أيضا للقبض علينا . ومع ذلك فان حالته الصحية لم تمنعه من العمل فى توجيه الحركة .. ولكن ضغط العمل من الصباح حتى منتصف الليل

بغير راحة تقريبا كان أكثر مما يحتمل • فنصحه الاطباء بالراحة • والظاهر أن الحكومة كانت فى صف هؤلاء الاطباء فقد ألقت القبض عليه فى ٣٠ يونية عام ١٩٣٠ • وهكذا •• وبدلا من أن يذهب والدى الى مصحة جبلية اكتفى بأن عبر نهر الجانج ليدخل سجن نينى •• !!

وخلال الاسابيع العشرة التى قضاها والدى فى السجن كانت صحته فى تدهور مستمر • ولم تفكر الحكومة البريطانية فى الافراج عنه الا بعد أن أصبح مجرد ظل للانسان الذى كان من قبل• وبمجرد خروجه انتقلنا جميعا الى ميسورى حيث ساعد المناخ الجبلى والراحة المنزلية على إعادة بعض القوة الى جسمه المتعب المعذب • وكان جواهر أيضا قد أفرج عنه فى ذلك الوقت ولكنه بقى فى الله آباد وكان يجىء لزيارتنا من وقت لآخر الامر الذى كان ساعد والدى وأرضاه كثيرا •

ولكن لم يسمح لجواهر بأن يستمتع بحريته لمدة طويلة •• وبدأت الشائعات تروج عن قرب اعتقاله مما حمل والدى على تقريره العودة الى الله آباد فى أسرع وقت ممكن بالرغم من نصيحة الاطباء • وهكذا تركنا ميسورى فى ١٨ أكتوبر •

واستقبلنا جواهر وكمالا على المحطة • ونظرا لتأخر وصول القطار فان جواهر لم يتمكن من البقاء معنا فقد كان عليه أن يذهب لحضور اجتماع عام حضره عشرات الالوف من الفلاحين من المناطق المجاورة • وعندما انفض الاجتماع وكان جواهر عائدا مع كمالا اذا بالبوليس يوقف سيارته على مرأى منا ويلقى القبض عليه ويؤخذ مرة ثانية الى سجن نينى دون ان يسمح له حتى بكلمة وداع يلقيها على والده المريض الذى كان ينتظر عودته بغير طائل •

كان القبض على جواهر صدمة قوية لوالدى رغم توقع حدوثه• فقد كان يأمل ان يقضى بعض الوقت مع جواهر يتحدث اليه فيه عن السياسة وبعض الامور العائلية •• ولكن هذا لم يحدث •• وجلس والدى وقد نكس رأسه فى أسى ولكن قلبه الجسور لم يكن

يخضع للضعف طويلا . فرفع رأسه المكلل بالبياض وأعلن أنه قد عزم على أن يبدأ العمل من جديد وأنه ليس فى نيته أن يسمح للاطباء أن يعاملوه معاملة المرضى مرة أخرى . وكان من المدهش حقا أن يتمكن بمحض ارادته القوية من اخفات صوت مرضه الخطير الذى استحكم فى جسده . ولكن لم يكن هذا الا لفترة قصيرة .

وبدأ والدى العمل بعزم جديد وأخذ يزود حركة العصيان المدنى التى عادت للظهور من جديد بطاقة جديدة . وبدأت صحته تتدهور تدريجيا .. واستطاع جواهر أن يقنعه بالراحة وبالذهاب فى رحلة قصيرة بالبحر . وكان على أن أصحبه فى هذه الرحلة .. ولكننا عندما وصلنا الى كلكتا كانت صحته قد بدأت تزيد سوءا فألغيت الرحلة ..

وبقيت مع والدى فى احدى ضواحى كلكتا لعدة أسابيع .. كانت أسابيع من الاسى . والظاهر ان والدى كان قد بدأ يحس بأنه لن يشفى من مرضه وأن شيئا لا يمكن عمله . ومع ذلك فلم يكن حزينا بل على العكس فقد كان دائما ما يلقى النكتة تلو النكتة من مرضه عالما فى قرارة نفسه ان المسألة أصبحت مسألة بضعة شهور قليلة . وكانت روحه عالية حتى النهايه .

وذات يوم وصلت الانباء بأن كمالا قد أعتقلت . وقد أحزن هذا والدى جدا فقد كانت كمالا أبعد ما تكون عن الصحه وأراد أن يعود الى الله آباد على الفور .. ولكن الاطباء استطاعوا اقناعه بأن يبقى فترة قصيرة أخرى .

وانتشر عقب عودتى من كلكتا حكاية طريفة .. فقد كان القبض يلقى كل يوم على كثير من زملائى وأصدقائى وكانوا يحاكمون داخل سجونهم . وكان على الذين يريدون حضور هذه المحاكمات منا أن يحصلوا على تصريح خاص من قاضى المنطقة .. وهو رجل مرهق مغرور الى أبعد الحدود .. وقد ذهبت اليه يوما لأحصل على هذا التصريح فقد كانت جماعة كبيرة من عصبة الشباب ستحاكم عصر ذلك اليوم . والظاهر ان منظرى قد أثار جنونه . « ماذا .. ؟ أنت هنا مرة اخرى .. ؟ لماذا لا تهتمون أيها الناس بأموركم أنتم وتتركونى وشأنى .. ؟ »

وقد أجبته فى هدوء بأنه من واجبى أن أحضر محاكمة بعض أعضاء عصبة الشباب حيث أننى سكرتيرة العصبه . وقد رفض فى بادىء الامــر ان يعطينى التصريح فقلت له أننى سأنتظر حتى يعطينى اياه حتى لو اضطررت أن أبقى أمامه اليوم بطوله . وقد أشعل هذا حنقه فكتب بطاقة التصريح .. وعندما سلمها لي قال « الآن .. وبحق السماء كفى عن المجىء هنا .. انكم أيها الناس ستدفعوننى الى الجنون » .

وذهبت لحضور المحاكمة . ولم يدر فى خلدى أن صديقنــــا قاضى المنطقة سيقوم بتلك اللعبة القذرة التى قام بها .. فما ان ودعت زملائى وتأهبت للخروج مع احدى قريباتى حتى ووجهنا نحن الاثنين بأمر بالقبض علينا لاشتراكنا فى اجتماع غير قانونى فى الاسبوع الماضى .

بهتنا لهذا الامر .. ولكن لم يكن أمامنا ما نفعله . لم تكن قريبتى شيام كومارى تقوم بأى دور فى الحيـــاة السياسيه .. كانت تشتغل بالمحاماة وقد أتت لحضور المحاكمة لاسباب مهنيــة بحتة .. ولكن مجرد كونها من عائلة نهرو كان ســـــببا كافيـا لادانتها . وصدر الحكم على كل منا بالحبس لمدة شهر أو دفــع غرامة قدرها مائة روبية ..

وقد أسفت لسبب واحد فقط .. كان والدى مريضا جدا وكان قد أخبرنى مرارا أنه يأمل ألا أذهب الى السجن فى تلك الايام .. ولم أكن أريد أن يظن أننى فعلت ذلك عمدا أو بالرغم عن مشيئته .. ولكن كيف لى شرح هذا .. ؟

كان الوقت شتاء وكانت زنزانتنا فى السجن قــــذرة تزحف الحشرات على كل جزء فيها .. وحاولت أنا وشــــيام كومارى أن نسلى أنفسنا فى بداية الامر ولكننا سرعان ما غرقنــــا فى صمت عميق .. كنت تعسة جدا وأنا أذكر والدى .. وأتمنى أن يقدر موقفى .. وأخيرا غلبنى النعاس .. ولم أستيقظ الا بعد بضــع ساعات على عدة أصوات ترتفع مع صليل السلاسل وفتح البوابات .. وأخذت الاصوات والانوار تقترب ووجدنا الجمع كله يتجـه الينا .. وانفتح باب زنزانتنا ودلفت الينا السجانة وضابطـــة السجن وبعض الحراس .

وقالت لنا الضابطه انه قد تقرر اطلاق سراحنا بعد آن دفعت الغرامات • كان من الصعب على أن أصدق هذا فكنت أعلم تماما أن والدى لا يمكن ان يدفع أية غرامة بصرف النظر عن أى اعتبار على أننا ــ وقد أطلق سراحنا فعلا ــ حملنا متاعنا القليـــــل وغادرنا الزنزانة •• وفى مكتب السجن وجدنا محاميا صديقا فى انتظارنا لاصطحابنا الى المنزل • فسألناه من دفع الغرامه لنا فقال آنه لا يمكنه التصريح بشىء•• لم يكن هو واندى كما لم يكن والد قريبتى •• وانما هو صديق أراد ان يظل اسمه مجهولا •• وكانت الساعة قد جاوزت منتصف الليل عندما أطلق سراحنا وكـان معنى هذا أننا قضينا فى سجننا ما يقرب من اثنى عشر ساعة •

وعندما عدت الى المنزل كان كل شىء غارقا فى الظلام فلم يكن أحد يتوقع الافراج عنا آو يعرف شـــيئا عنه • وكانت أمى هى الوحيدة المستيقظه •• وكانت تقرأ « الرامايانا » (★) وفى الصباح المبكر من اليوم التالى ذهبت الى حجرة والدى وكانت دهشته لمرآى آكبر من دهشة أمى •• كان سعيدا برؤيتى ولكنه كان حانقا جدا لدفع الغرامة • وقرأت فى صحف انصباح تصريحا كان قد أدلى به عقب القبض على • وكان بعض الاصـــــدقاء قد حضروا اليه يسألونه أن يدفعوا هم الغرامة ان كان هو لا يريد دفعها •• وكان طبيعيا ان يغضب والدى وقال انه سيكون جرحا بالغا له اذا دفع أحدهم الغرامة حيث ان المسألة مسألة مبدآ وانه ســـيعتبر دفع الغرامة عملا غير ودى وغير لائق . ومع ذلك فقد صمم أحدهم ــ بالنظر الى مرض والدى ــ أن يحمل هذا الوزر ان كـــان ذلـــك ضروريا •• ولم نعرف من هو الا بعد عدة سنين •

وبمجرد خروجى من السجن قمت بجولة صـــغيرة لحســـاب عصبية الشباب فى القرى المجاورة وعند عودتى وجدت رسالة لى من جواهر أرسلها مغلقة ضمن خطاب لوالدى •• قال فيها :

« فهمت أنك تتلقى الورود والتهانى •• أى بطولات هذه التى يحتفل بها •• أن بضع ساعات فى السجن لا تستحق بالتأكيـــد ملحمة •• على أى حال حذار آن تحملى رأسا فارغا منفوخا •• أم أن الرأس الفارغ خير من أن لا تكون هناك رأس على الإطلاق • ! »

---

(★) احدى الملحمتين الهنديتين الكبيرتين .. والثانية تسمى «ماهابهارأتا»

وتدهورت صحة والدى أكثر وأكثر رغم اعتقاده بأن صحته تتقدم . كنا نحن نقيس صحته بمدى قوته ولم نكن نحتمل منظره حانى الظهر يبدو عليه المرض والاعياء . وأخيرا لازم والدى فراشه .. ومع ذلك فلم أكن أحس بأنه أصبح قريبا من الموت .. لم أكن أدرى كيف .. ولكنى كنت أعتقد أنه لا يعقل ان يأخذه الموت منا . لقد عاش حياته يقاوم الصعاب .. وكان يكسب دائما .. وكنت أعتقد أنه سيكسب هذه المعركة أيضا برغم أنها كانت معركة ضد الموت .. ولكن هذا ما لم يحدث .. .





النفوس الكبيرة ،

كالقمم الشامخة ..

مهما عصفت بها الديم ،

أو حجبتها السحب ،

فهواؤها أنقى من أى مكان آخر ..

رومان رولان

## - ٥ -

كان ذلك يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٣١ ـ يوم الاستقلال ـ حينما أفرج عن جواهر وعن زوج أختى رانجيت بغير قيد أو شرط نظرا لسوء حالة والدى الصحية ·· كان ذلك منذ اثنى عشر عاما ومع ذلك فان ذكرى ذلك اليوم ما زالت ماثلة فى ذاكرتى ·· وصل جواهر الى « أناند بهاوند » واتجه على الفور الى حجرة الوالد ·· وما آن اجتاز عتبة الباب حتى تردد برهة فقد تغير منظر والدى تماما وأفزعه منظر وجهه المغضن ثم اتجه اليه وعانقه وظلا فترة من الوقت متعانقين دون أن ينطقا بحرف ··

وعندما ابتعد جواهر عن حضن والده وجلس على حافة فراشه كانت عيناه قد بللتا بالدمع الذى حاول منعه دون جدوى ·· ولا أظنني سأنسى يوما ذلك الضوء الذى انبعث من عينى والدى أو الفرح الذى ارتسم على وجهه وهو يرحب بجواهر ، كما لن أنسى أبدا ذلك الأسى الذى غاص فى عينى جواهر وهو يقترب من فراش مرض ذلك الوالد الذى أحبه فى عمق ·· الوالد الذى لم يكن والدا فحسب بل كان أيضا أعز صديق لكل واحد منا ··

لم تكن الشهور التى قضاها والدى مريضا شهورا ، شهورا مؤسفة يملأ القلق أيامها جميعا ، بل كانت بالنسبة لى تجربة اجتازها من الحزن العميق ·· وبالرغم من آن صحة والدى كانت تزيد سوءا فى كل يوم فاننى لم أكن أصدق آن الموت كان يدنو منه ·· فحتى ذلك الحين لم يكن الموت قد اقترب من أسرتنا الصغيرة ولم أكن أعرف أى شىء عنه ··

وفى نفس اليوم الذى أفرج فيه عن جـــواهر تم الافراج عن كثيرين غيره من جميع أنحاء الهنـــد ·· وكان غاندى من أوائل المفرج عنهم ، وما أن سمع بمرض والدى حتى توجه مباشرة من سجن براقدا فى بونا الى الله آباد ·· وقد سعد والدى كثيرا لمرآه وكان وجود غاندى الى جانبنا سببا فى شعوره ببعض الراحة ··

وتوافد كثيرون من الذين أفرجت السلطات عنهـــم الى آنند بهاوان لزيارة والدى وربما لكى يلقوا عليه نظرة الوداع الاخيرة · وامتلأ بيتنا بالضيوف ومع ذلك فقد ساد الصمت والحزن كل ركن من أركان ذلك المنزل الذى لم يكن يتردد بين جنباته غير الضحك والسرور ·· وكان الناس يتوافدون خارج المنزل ســـاكنين ·· بعضهم جاء يؤدى عملا ما وبعضهم يكتفى بأن يدور حـــول المنزل صامتا بغير هدف معين ·· وكان الجو كله مليئا بالقلق والاسى ··

وكنا جميعا لا هم لنا الا التردد حوله طول الوقت ·· جواهر وكمالا وسوارب وأنا .. وعند ما يجيء الليل كنا نتناوب البقـــاء فى حجرته حتى يجد أحدنا اذا ما أراد شيئا ·· وكثيرا ما كان يحدث وأنا فى حجرته أن يحتاج الى جرعة من الماء فكان يطلبهـــا وكأنه يعتذر عما يســـببه لى من نصب ·· فكان قلبى يدمى لرقة احساسه ·· وحتى فى أحلك ساعات مرضه الخطير لم يكن تفكيره يتجه الى نفسه بل يتجه دائما الى الاخرين ·· وأخذنا نرقبه يوما بعد يوم وقواه تفر منه دون أن نستطيع شيئا لمنعها ··

ولم يفقد والدى مرحه حتى النهاية ·· وكثيرا ما كان يمازح غاندى أو يتندر مع والدتى فيغيظها بأنه هو الذى سيسبقها الى العالم الاخر ، وسيبقى هناك فى استقبالها ·· ولم يكن أبدا ليخاف مما يعرف أنه النهاية المحتومة .. وكان على والدى طوال حياته ان يدخل فى المعارك ·· وقد كسب معظمها ·· لم يكن ليضعف أو يتردد حتى أمام الموت فى أن يخوض المعركة ··. وقد قاتل بكل قواه المنهارة أياما وليالى محاولا أن يمد عمره بضع سنوات أخرى ليس فى سبيل متع الدنيا بل حتى يرى بعض الثمـــار الطيبة لما أنفق من جهد خصص له حياته ·· ولكن شـــجاعته ذهبت سدى وانتصر الموت فى النهاية ··

وذات يوم وكان والدى يسير الى جانب بابو - وهو الاسم الذى كنا نطلقه على المهاتما غاندى - أبدى رغبته فى أن تعقد اللجنة التنفيذية للمؤتمر اجتماعا فى سوارج بهوان وكان معظم أعضائها فى الله أباد . وكانت كلماته الاخيرة « قرروا مستقبل الهند فى سواراج بهاوان .. قرروه فى حضورى واسمحوا لى بالاشتراك فى وضع النظام النهائى الشريف لمستقبل أرضنا الام . ودعونى أموت .. اذا كان لا بد لى من الموت - فى حجر بلاد حرة .. لا تدعونى أرقد رقدتى الاخيرة فى بلد مستعبد .. بل فى بلد حر » ..

واذ بلغت صحة والدى درجة خطيرة من السوء فكر الاطباء أن ينقلوه الى لكنو لعلاجه بالاشعة ولكن والدى لم يرغب فى الرحيل .. كان يعلم أكثر من الاطباء أن أجله قد حان ، وكان يريد أن يموت فى أنان بهاوان .. المنزل الذى بناه فخورا به وأحبه كثيرا .. وأصر الاطباء على رأيهم ووافقهم غاندى عليه .. وأصبح والدى أضعف من أن يعارض فحملوه فى السيارة الى لكنو فى ٤ فبراير عام ١٩٣١ ..

وبرغم مشقة الرحلة فقد ظهرت دلائل التحسن عليه فى الصباح ولكن عندما حل المساء كانت الحالة قد ساءت كثيرا .. لم يعد يستطيع التنفس وأعطوه الاكسوجين .. وظل واعيا لكل ما حوله .. وعندما حانت الساعة الخامسة مساء وكان يقف الى جوار والدى الدكتور برهان روى والدكتور انصارى والدكتور ميهتا وغيرهم - طلبوا الى الدخول الى حجرته وأن أجلس خلفه لإساعده، وفعلت هذا .. وتركنا الاطباء .. ولم أعرف أبدا ان كان والدى هو الذى طلب منهم استدعائى أم أن الاطباء هم الذين رأوا ذلك .

وبعد عدة دقائق أحسست بأن والدى يبحث عن شىء فملت عليه أسأله ماذا يريد .. كان من الصعب عليه أن يتكلم .. وبجهد كبير أخذ وجهى بين كفيه المعروقتين وأخذ يقبلنى فى وجهى بشفتيه المرتعشتين .. كأنها هى قبلات الوداع .. فضغطت على أسنانى وبذلت جهدا غير انسانى لأمنع سيل الدموع التى بدأت تنهمر من عينى من أن تسقط على يديه أو أحدث صوتا لبكائى ..

ولما عجزت عن كبح جماح نفسي حاولت أن أتخلص من حضنه ·· ولا بد أن والدي قد أحس بشعوري - فقد كان ما زال حساسا ذكيا كشأنه دائما - فهمس لي في مشقة وهو ما زال يمسك وجهي بكلتا يديه ·· « على ابنتي الصغيرة أن تكون شجاعة دائما » ··

ولم أعد أستطيع أن أحتمل أكثر من هذا فاندفعت الى خارج الحجرة أبكي بكاء كاد ينخلع له قلبي ·· وبتقدم المساء زادت صحته سوءا ولم أكن أحتمل الدخول الى حجرته ثانية فجلست خارج حجرته مع الاخرين طول الليل ·· ولما أشرق الصبح كان قد نال مني التعب والاسى كل منال فغفوت ونامت أيضا أختي وكمالا وبعض أقاربنا الذين كانوا هناك ·· ولم تكن قد انقضت على نومنا ساعة حتى أتت عمتي لتوقظنا ولتنبئنا أنه قد رحل ·· لم يكن في حجرته عندما ذهب الا جواهر ووالدتي والاطباء ··

ودخلنا الى حجرته ·· الواحد تلو الاخر ·· كان يرقد في فراشه كما لو كان نائما ·· وجهه هادىء تحيطه هالة من الجلال زادت عنها في الماضي ·· ورفض قلبي أن يصدق أن والدي الحبيب قد مات ·· وكان جواهر يجلس خلفه وقد وضع كفه على جبين والدي المسجى وفي عينيه دموع لم تنهمر ·· ورفضت الدموع أن تخرج من عيني فقد كنت أرفض تصديق ما حدث ·· ودخل غاندي الحجرة وتوجه الى فراش والدي ووقف أمامه قليلا مطاطىء الرأس مغلق العينين كما لو كان يصلي ويودعه ونحن جميعا من حوله ·· ثم أتجه الى والدتي التي لم تحدث صوتا واحدا بعد أن صرخت صرخة واحدة فور موته وانزوت في أحد أركان الحجرة يغتالها حزن لا يقدر ·· وجلس غاندي الى جوارها ووضع كفه على كتفها وقال « ان موتيلال لم يمت ·· سيعيش طويلا ·· » ومن هذه العبارة أدركت فجأة ما حدث ·· وانطلق فيض دموعي ··

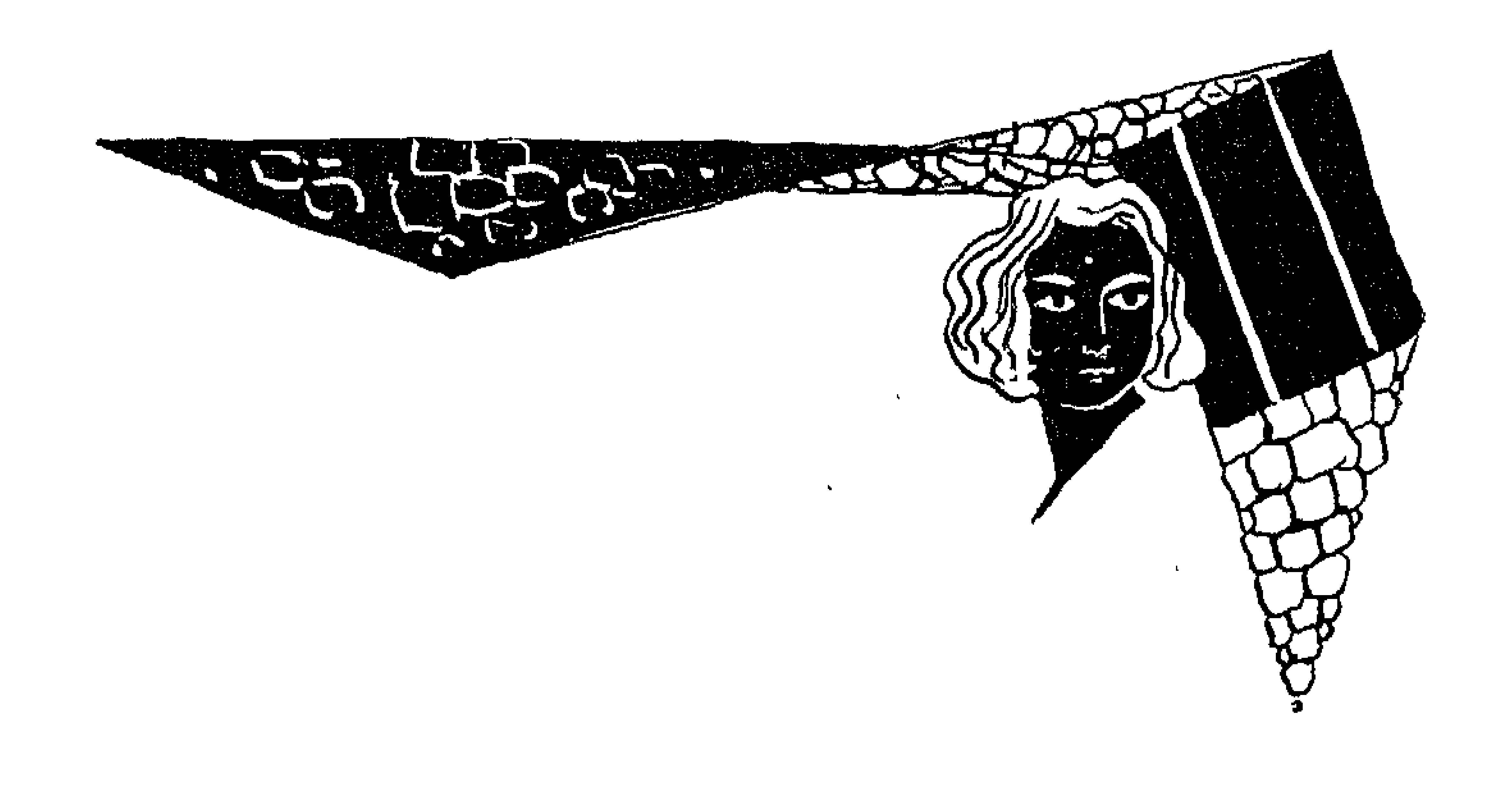
وانتشر نبأ موت والدي في طول البلاد وعرضها ·· وفي لكنو نفسها انتشر الخبر كما تنتشر النار في الهشيم وتجمع الالوف على قمة كالانكر حيث كنا ننزل لالقاء تحيتهم الاخيرة الى زعيمهم ··

وتمدد جسده بين الزهور ·· ومنذ الساعات الاولى من صباح اليوم التالي بدأ سيل لا نهاية له من الزوار والاصدقاء والاقارب

يمرون فى حجرته فى سكون تام يلقون اليه تحيتهم الاخيرة ..
وكان غاندى واقفا طول الوقت ساكنا الى جانب فراشه أما أمى فقد جلست الى جوار ذلك الرجل الذى شاركته العمــــر بأمجاده وسعادته ومتاعبه ، وعلى القرب كان يقف جواهر مرهقا متعبا وقد بدا كأنه أصبح كهلا بين يوم وليلة .. ولكنه ظل محتفظا بهدوئه برغم فداحة المأساة ..

أما خارج المنزل فقدكانت الجماهير ما تزال تتوافد .. على كل وجه حزن ، وفى كل عين دمعة .. وقد ساد السكون الجميع ولم يستطع لسان أن يصور هذا الاحساس بالضياع الذى كنا نعانيه جميعا ..





« الحياة للذين يعيشون فى الخارج

مدارها الجمال والحب ..

أما بالنسبة لنا هنا

فهى حبل المشنقة

وسلاسل السجن » ..

غالب

- ٦ -

كان على جواهر بعد موت والدى أن يذهب الى دلهى للاشتراك فى المناقشة مع غاندى الذى كان يتباحث حينئذ مع الحاكم العام لورد « ايروين » ·· وكانت هناك عدة مسائل عائلية تنتظر حلها على يدى جواهر وبقيت على حالها أثناء غيابه · وبالرغم من مشاغله فى دلهى فانه لم ينس أنه أصبح رئيس عائلتنا الصغيرة ·· وكنا جميعا حينذاك فى أشد الحاجة لوجوده ـ على الاخص والدتى التى كانت قد تحطمت تماما ·· وبينما الايام تزحف فى بطء ثقيل وهو ما زال بعيدا لا يستطيع العودة كتب لى يقول :

« الظاهر اننى سأظل معلقا هنا الى ما لا نهاية رغم أننى كنت آمل فى قضاء أسبوع كامل فى الله أباد لتسوية شئوننا المنزلية بالتشاور مع عائلتنا ·· فحتى الان كان العبء كله ملقى على عاتق والدنا وكنا جميعا بمنأى عن المتاعب بفضل رعايته الحانية وبعد نظره ·· كان حبه العجيب لابنائه يشملنا جميعا ويحمينا وعشنا حياتنا بعيدين عن القلق واللهفة التى يواجهها معظم البشر ·· لقد كان مجرد التفكير فيه يجلب الراحة الى نفوسنا عندما تواجهنا حقائق الحياة القاسية ·· أما الان فعلينا أن نقطع طريقنا بدونه ·· وفى كل يوم يمر أشعر بغيبة ويزيد احساسى الرهيب بالوحدة ·· ولكننا أبناء والدنا وفى نفوسنا شىء من قوته العظيمة ومن شجاعته ·· ومهما كانت العقبات والصعاب التى يمكن أن تعترض طريقنا فسنواجهها بحزم واصرار كاملين للتغلب عليها

ويظهر هذا الخطاب بوضوح مدى الحزن الذى شعر به جواهر لفقد والده ·· حزن نشترك فيه جميعا وبنفس العمق ·· لقد

أحسسنا جميعا بالضياع بفقده ·· ولم نعرف كيف نسير أمورنا دون قيادته ورعايته ·· ولقد وقع العبء كله على كاهل جواهر·· عبء أسرتنا الصغيرة ·· فحمله فى شجاعة وكفاءة ·· وسرعان ما اتخذ مكان والدى وبدأنا نحن نعتمد عليه شيئا فشيئا حتى فى أصغر المسائل ·· وما زلنا هكذا حتى الان ··

كان خطاب جواهر كأنه البلسم بالنسبة الى ·· فقد أعاننى على مداواة أحزانى أكثر من أى شىء اخر ·· ولا يعلم جواهر حتى الان أننى فى كل مرة يعترينى اليأس أو أشعر بالضيق أعود الى هذا الخطاب الذى كتبه لى منذ اثنى عشر عاما فيزودنى بالشجاعة اللازمة لمواجهة مشاكل الحياة ··

وفى ذلك العام عقد المؤتمر الوطنى الهندى دورته فى كراتشى وصحبنا ـ أمى وأنا ـ جواهر وزوجته هناك ·· لم يكن جواهر فى حالة طيبة حينئذ ·· فقد مرض فى السجن قبيل الافراج عنه ·· وكان ما عاناه من ضغط وارهاق بسبب مرض والدى ثم موته قد أصاب ما كان يسميه « دستوره الحديدى » ·· ونصحه الاطباء بقضاء أجازة طويلة وبالراحة التامة ·

لذلك فقد ذهب جواهر وكمالا وأنديرا الى سيلان فى رحلة تستغرق ثلاثة أسابيع ·· وقد سر جواهر من سيلان وهزتهم جميعا الروح الكريمة المرحبة التى قابلهم بها الاهالى هناك ··

وقد كتب لى جواهر أثناء عودته على ظهر الباخرة يقول :

« كنا نقابل بالترحاب فى كل مكان ·· الترحاب الرائع المدهش ·· وأخذت أنتقل من حشد كبير الى حشد وأمر على مجموعات من الشعب لا يمكن حصرها وقفت تنتظرنا على جانبى الطريق ساعات وساعات ·· وقد دهشت لهذه المعجزة وحاولت أن أفهم مغزاها ·· فأدركت أنه لا بد أن يكون وراءها شىء ·· شىء أعمق من مجرد المظاهر الودية ·· وأحسست فجأة أن عظمة الهند وكفاحها المجيد هو ما جاءوا لتحيته ولم نكن سوى الرموز الضعيفة التى تشير الى هذه العظمة ··· لقد مضى زمن ليس بالبعيد كان الهندى فيه يحنى هامته خجلا أمام الدول الاجنبية · ·ولكن شيئاما حدث ·· وأصبح هذا الخجل فى ذمة التاريخ ·· ذهب كأنه الحلم

الثقيل .. أما اليوم فقد أصبح مما يدعو للفخار أن يكون المرء هنديا على الاخص اذا كان من هؤلاء الذين شاركوا فى حمل رسالة الكفاح .. وحيثما يذهب الواحد منا فانه — هو أو هى — يحمل معه شيئا من عظمة الهند الجديدة » .

لقد شعر جواهر حينئذ — وما زال يشعر حتى الان — بأن أى تكريم يوجه له أو أى مظهر من مظاهر الاحتفال به لا يقصد به ذاته بل ليس فى حقيقته سوى هدية يتلقاها بوصفه أحد أبناء الهند المجاهدين .. وهب كل شىء لبلاده .. حتى حياته نفسها يقدمها لوطنه اذا أرادها ..

وبالرغم من الإتفاق الذى تم بين غاندى وايروين فقد ظل الموقف فى البلاد كما هو .. فلم يكن لدى الحكومة أية رغبة فى قبول روح الاتفاق .. وكان الشعب وقد قام قومته .. يرفض أن يرى ثمرات كفاحه تلقى فى التراب .

فاستمرت الاضطرابات فى المقاطعات المتحدة واستمر القلق بين الفلاحين ومدت الحكومة فى أجل الاحكام العرفية حتى تتمكن من معالجة القلاقل الزراعية .. وحظرت الحكومة عقد المؤتمر الاقليمى الذى كان مزمعا عقده فى المقاطعات المتحدة ما لم يعد المؤتمر بعدم النظر فى المشاكل الزراعية .. ولما كان الغرض الاصلى من هذا الاجتماع هو بحث هذه المشاكل فقد كان من المضحك أن يقبل هذا الشرط .. وكان من المقرر أن يعود غاندى من مؤتمر المائدة المستديرة .. ولما كان جواهر وكثيرون آخرون يريدون مقابلته فقد رأوا أنه من الاوفق تأجيل عقد الاجتماع .. وبالرغم من ذلك فانهم لم يتمكنوا من مقابلة غاندى ..

وفى ديسمبر عام ١٩٣١ ألقى القبض على جواهر فى احدى المحطات الفرعية على بعد عدة أميال من الله أباد وكان فى طريقه الى بومباى .. وبعد ذلك بيومين وصل غاندى الى بومباى قادما من انجلترا بعد أن حضر مؤتمر المائدة المستديرة .. وكان يتوقع أن يكون جواهر فى انتظاره .. وكان كل ما كان فى انتظاره هى أنباء القبض على جواهر وكثيرين غيره من الزعماء واعلان امتداد الاحكام العرفية فى كثير من المقاطعات .. وبدأت المعركة من جديد ..

وفى ٤ يناير عام ١٩٣٢ ألقى القبض على غاندى وفاللابهاى دون ان يقدما الى المحاكمة ·· ووصلت الحركه الى أقصى شدتها خلال بضعة أسابيع ، وحتى الذين لم يشتركوا معنا بنصيب كبير فى المعركة من قبل ألقوا بكل قوتهم وحماسهم فيها ·· ووضعوا أنفسهم تحت قيادتنا ، حتى أمى - وكان الكبر والضعف قد نالا منها ·· رفضت أن تظل فى المؤخرة ··. فقامت تخطب فى الحشود المجتمعة فى المدن والقرى المجاورة ·· وكانت مصدر عجبنا ودهشتنا جميعا ·· فقد عاشت طول حياتها عليلة غير قادرة على متابعة حياة عادية نشطة فأصبحت فجأة وقد استمدت القوة والتصميم من مصدر مجهول ·· وأصبحت فى مثل نشاطنا وحركتنا ·· بل فاقتنا فى بعض الاحيان ··

وسرعان ما تلقينا - أختى وأنا وكثيرين من زملائنا - انذارا من البوليس بأن نمتنع عن المشاركة فى أى اجتماع او موكب أو تنظيم أى اضراب وذلك لمدة شهر ·· وكان قد بقى على يوم الاستقلال أسبوعان ·· لذلك فقد قررنا أن نظل هادئين حتى ذلك اليوم ··

وفى يوم ٢٦ يناير عقدنا أكبر اجتماع شهدته مدينتنا ·· وترأست والدتى الاجتماع وألقت خطابا ناريا ·· وقبل أن ينفض الاجتماع شن عليه البوليس حملة ضخمة بالعصى الغليظة ، وقبض على الكثيرين فى مكان الاجتماع وأصيب عدد كبير جداً باصابات بالغة ·· وبالرغم من اننا كنا نتوقع القاء القبض علينا حينئذ نظرا لخروجنا على الانذار الا أن شيئا لم يحدث لنا ·· وعدنا الى البيت وقد عرانا بعض الضيق ··

وما ان حلت الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالى حتى وصلت سيارة البوليس تقل أحد المفتشين وأخطرت أنا وأختى بأننا مقبوض علينا ·· فأعددنا بعض حاجياتنا وودعنا أمى وبقية أهل المنزل وذهبنا الى منزلنا الجديد ·· الى السجن ·· كانت هذه هى أول تجربة حقيقية لى فى السجن ·· فقد ذهبت اليه من قبل مرة واحدة ولم تستغرق اقامتى فيه أكثر من اثنى عشر ساعة ·· لم نكن نفكر فى أنفسنا أو فى مستقبلنا ·· بل انصب تفكيرنا على

والدتى العليلة الضعيفة التى تركناها وحدها فى منزل كبير شهد كثيرا من المسرات وألوان السعادة ولا يعرف الان سوى الاحزان والوحدة ·· ولا بد ان الامر كان بالغ القسوة بالنسبة لأمى ·· أن ترى أبناءها يذهبون جميعا الى السجن الواحد تلو الاخر تاركينها وحدها لكى تكمل حمل رسالتهم وترعى شئونها ·· ولكنها رغم ضعف صحتها فقد كانت تحمل قلبا قويا فخورا ·· ورغم أنه لم يكن قد بقى معها احد غير أختها ــ وهى أيضا سيدة كبيرة قوية ــ الا أنها لم تتخلف لحظة عن مواصلة الجهاد ··

وهكذا انتزعنا من بيتنا الحبيب الى سجن الحى ·· وعندما وصلنا اليه وجدنا كثيرات من زميلاتنا هناك مرحات تعلو وجوههن البسمة .. على استعداد لتحمل أى لون من ألوان المتاعب .. وقد فرحنا لوجودنا معا ·· وبعد الانتهاء من الاجراءات الرسمية كوزننا مثلا قادونا الى الداخل ·· لم يكن بالسجن ثكنة خاصة للنساء ·· فقد كانت القاعدة أن النساء لا يبقين فيه الا ريثما تتم محاكمتهن ثم ينقلن بعد ذلك ·· فاكتفوا بتخصيص جناح واحد لهن ·· كان يضم احط أنواع النساء وكل انواع الامراض .. فبقينا معهن ثلاثة أسابيع حتى قدمنا الى المحاكمة ثم مكثنا بعدها اربعة أيام أخرى على أنهم سمحوا لنا بالاقامة فى زنزانات مستقلة كل أربعة منا فى زنزانة ··

وفى صباح كل يوم كان مأمور السجن يقوم بالمرور علينا ·· وهو رجل انجليزى أصيب فى الحرب اصابة بالغة · وكان علينا أن نكون جميعا حضورا فى انتظاره حتى يرى بعينيه ان أحدا منا لم يتغيب ·· وذات مرة تأخرت أنا وحدى صديقاتى فى الوقوف على باب الزنزانة حتى يرانا ··.وبمجرد أن وقع بصره علينا صاح : « سريعا ·· سريعا ·· فأنا لا يمكننى البقاء هنا طول اليوم فى انتظاركن ·· فمباراة التنس دائرة الآن وعلى أن أحضرها بينما أنا هنا فى أسوأ مكان فى العالم » ·

وضايقنى هذا جدا ·· فرددت عليه قائلة : « اننا نحس بالضيق هنا أكثر مما تحس ·· فكل شىء هنا فى غاية القذارة ·· ثم لماذا لا تفوتك مباراة التنس اليوم وهى تفوتنا نحن فى كل يوم ·· ؟ »

يغادر المأمور المكان وهو فى غاية الغيظ ·· ولـكنه لحسن الحظ لم ينطق بكلمة أخرى ··

كانت الايام الاولى لسجننا كأنها تجربة روائية .. تجربة لا يمكن لانسان أن ينساها يوما .. كانت زنزاناتنا تستضيف كل أنواع الحشرات المعروفة تزحف حولنا دائما .. فلم نستطع النوم عدة ليال خوفا من أن تتمكن هذه الحشرات المتوحشة من أن تصـــل الى فراشنا . وكان ينتابنا شعور مفزع حينما يتصور كل منــا فى كل ساعة أن حشرة غريبة حقيرة تزحف على ذراعه أو على قدمه .. وقد حدث هذا لكل منا فعلا مرة أو مرتين . فكنا نقوم بعـد ذلك بحركة تنظيف عام قبل ذهابنا الى الفراش .. ومنذ تلـك الليلة لم يحدث لنا منها شيء ..

وفى الفترة السابقة على محاكمتنا كان يسمح لنا بالزيارة يوميا فكانت أمى تأتينا لرؤيتنا كل يوم . واخيرا طلع فجر يوم محاكمتنا واخذنا ننتظر حلول موعدها فى قلق بالغ . ولا أدري لماذا لم نكن نتوقع أن يحكم على أى منا بما يزيد عن ستة أشهر ·· وكنا على استعداد تام لتلقى مثل هذا الحكم . وقد عقدت المحاكمة داخـل الســـجن وجلسنا جميعا فى صف واحد واكتفى بذكر أسـمائنا عند نظر قضية كل منا . وقد رفضنا جميعا الاشتراك فى هـذه المحاكمة ·· وكانت أختى أول من نودى عليهـــا ·· وعندما نطق القاضى بالحكم فى صوت ضعيف وكان عبارة عن الحبس لمدة سنة كاملة وغرامة .. صعقنا جميعا .. ثم جاء دورى وصدر على نفس الحكم ولكن بدون غرامة .. وتليت الاحكام بالنسبة لبقية الفتيات ·· ولم يصل الحكم الى سنة الا بالنسبة لفتاتين أخريين ·· أما الاخريات فكانت أحكامهن تتراوح بين ثلاثة وتسعة شهور ·· وبعد اربعة أيام نقلنا الى لكنو فى الساعة الحادية عشرة مساء ومكثنا فى سجننا هناك احد عشر شهرا ونصف .. فقد اعفينا من الســجن اسبوعين نظرا لحسن سلوكنا ..!!

كان ذلك فى صباح يوم بارد من أيام الشتاء حينما وصلنا الى سجن لكنو ·· كانت جدرانه القاتمة ترتفع أمام أعيننا فى قسوة ووحشية مما جعل قلوبنا تغوص فى أعماقنا . وعرفنا فيه معنى الحياة فى السجن لاول مرة فى حياتنا .. ان يعزل الانسان عزلا تاما

عن الحياة فى خارج السجن سنة كاملة .. ولكن .. كانت كل منا مصممة على ألا تدع الضعف يعرف طريقه الى نفسها .. وقد استطعنا ان نحافظ على تصميمنا وعلى روحنا العالية رغم كل ما واجهنا من متاعب والام نفسية ايمانا منا بقضية بلادنا وبعظمة غاندى ..

دخلنا مكتب السجن ففحصوا أمتعتنا ثم قادونا الى داخل السجن وأرشدتنا السجانة الى اماكننا وذكرت لنا ما يجب علينا عمله وحددت السلوك الذى ينتظر منا . ثم تركتنا بعد أن اخطرتنا بأننا أحرار فى أن نمشى كما نشاء فى حوش السجن حتى الساعة الخامسة مساء حيث تغلق علينا الابواب . فكانت مفاجأة صاعقة .. ومع ذلك فقد رتبنا فراشنا الذى لم يكن أفضل من سابقه .. واغتسلنا .. ثم ان بعض زميلاتنا قررن أن يلقين نظرة على ما حولنا .

كان الوقت صباحاً وكانت المسجونات جميعا خارج زنزاناتهن يغسلن أو يقمن ببعض الاعمال السخيفة .. وعندما مررنا عليهن ونظرنا اليهن فى تكاسل كان البعض ينظر الينا وفى عيونهن الدهشة. وألقت بعضهن علينا ابتسامة ود .. أما العجائز منهن او القدامى فى السجن فقد كانت نظراتهن سوداء قاسية . ونظرت الينا احداهن من أعلى الى أسفل فى احتقار بالغ .. وقد تبين لنا فيما بعد انها عجوز محكوم عليها فى احدى جرائم الثأر ومكلفة بمهمة الحراسة (*) .

وكانت ايام الاثنين فى السجن هى ايام استعراض بمعنى أن مأمور السجن يقوم فى هذا اليوم بالتفتيش فكان النشاط يدب فى السجن من الساعة الخامسة صباحا فتبدأ عملية مسح الممرات والزنزانات حتى الساعة الثامنة حين تصطف المسجونات فى ثياب السجن النظيفة وقد وضعت كل منهن أمامها طبقا حديديا ناصعا ..

وكانت سجانتنا قلقة فى أول يوم لنا من أيام الاستعراض اذ لم تكن واثقة مما سيكون عليه سلوكنا عندما يمر المأمور علينا . وكان

---

(*) يقضى نظام السجون فى الهند بان يستخدم بعض المحكوم عليهم كحراس .. وهم فى العادة اكثر قسوة ووحشية من الحراس الرسميين .

المفروض ان تهب كل مسجونة واقفة بمجرد وصوله الامر الـذى رفضه المسجونون السياسيون فى بعض السجون .. ولهذا استولى القلق على سجانتنا .

ومع ذلك فقد مر التفتيش الاول بسلام .. كان المأمور مجاملا فسألنا عما اذا كانت لدينا أية شكوى أو كان لنا أى طلب . فطلبت بعض زميلاتى كتبا وغير ذلك .. أما انا فكنت اريد أن ادرس اثنـاء اقامتى فى السجن فسألت عما اذا كنت أستطيع الحصول علـى كتب فرنسية وايطالية وبعض كتب الاختزال والقواميس ,وطلبت من المأمور كذلك بعض الروايات اذ ان الكتب الاخرى هى مجـرد كتب دراسية .

كنت أطلب هذه الكتب جادة جدا غير مدركة اننى سـجينة لا يسمح لها بأكثر من ستة كتب فى كل مرة بما فيها القواميس .
وقد تردد المأمور برهة ثم اجاب بلهجة جادة : «ألا يكون مـن الافضل أن أطلب من السلطات انشاء مكتبة صغيرة لك داخـل السجن ؟ سوف تكون الفرصة امامك اوسع فى اختيار الكتب ! »

وخلال ترددى قبل الرد عليه لمحت شبح ابتسامة فى عينيه فقلت : «سيكون هذا رائعا اذا لم يسبب لك بعض المتاعب . فانت ترى اننى لا رأيد ان أضيع وقتى هنا .. لذلك آمل أن تمكننى من الحصول على هذه الكتب سريعا ! »

وبالفعل حصلت على هذه الكتب الثمينة .. ولكن بعد مزيد من الاخذ والرد بين السلطات وبعد فوات شهرين طويلين .

ولم يسمح لكل منا بأكثر من ستة قطع «للسارى» وبعض الملابس الاخرى .. كان علينا أن نغسلها بانفسنا كل يوم .. ولم تكن هذه بالمهمة السهلة . وكانت «الخادى» ثقيلة وكثيفة يزيدها الماء ثقلا وكان من الصعب جدا غسلها .. ولكن سرعان ما اعتدنـا على هذا العمل وعلى كثير غيره مما تقتضيه الحياة فى السجن . أما الغذاء الذى كان يقدم لنا فكان فظيعا .. وبذلنا جهودا جبارة حتى نستطيع تناوله ولكن دون جدوى . وكان يقدم بطريقة قذرة تثير الاشمئزاز فطلبت السماح لنا بأن نطهى طعامنا فأجابونا الى طلبنا فقسمنا انفسنا الى مجموعات تضم كل مجموعة اربعة او ستة ..

تجهز احداهن الخضروات وتقوم الاخرى بتنظيف الاوانى وهكذا .. وشعرنا عقب هذا الاجراء ببعض الراحة .

كان كل عنبر يضم عشرة أو اثنتى عشرة سجينة منا .. وكنا احرارا فى السير فى حوش السجن حتى الساعة الخامسة مساء حين تغلق علينا الابواب وتظل مغلقة حتى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى .. وكان قضاء هذه الساعات أمرا شاقا للغاية .. كانت كل واحدة منا تريد أن تعمل شيئا مختلفا .. كان البعض يريد الحديث ويريد البعض الاخر القراءة او المناقشة وكان البعض يريد الغناء والضحك حتى ينسى المتاعب التى يواجهها .. وكنا فى بعض الاحيان نثير بعضنا الى درجة فظيعة .. ولكننا على العموم عملنا على أن نحيا معا فى ود وصفاء .
كانت اكثر الانباء التى تأتينا من الخارج انباء قلقة .. وفى كل مرة تصل الينا فيها الانباء كنا نصاب بالضيق طول اليوم . وقد سمعنا يوما ما ان والدتى قد اصيبت اصابة بالغة فى احدى الحملات التى يشنها البوليس ويستخدم فيها العصى الغليظة . ولم تكن لدينا انا وأختى اية طريقة لمعرفة اية تفاصيل اخرى فكدنا نجن من القلق ومع ذلك فلم يسمح لنا بان نرسل لها برقية او رسالة نظرا لاننا كنا قد ارسلنا من قبل الخطاب الذى يسمح لكل منا بارساله مرة كل اسبوعين .. وكان هذا هو احدى المناسبات التى يحس المرء فيها بالعجز والمرارة والحرمان .

وكانت ايام الزيارة عيدا بالنسبة لنا .. ومع ذلك فقد كانت بعض هذه الايام تمر دون أن يزورنا أحد فقد كان معظم أفراد عائلتنا فى السجون ولم يكن منهم فى الخارج غير والدتى ، وكان عليها أن تزور أخى وزوج اختى الى جانب زيارتها لاختى ولى .. ولذلك فانها عند ما كانت تصاب بالمرض أو تعوقها بعض الاعمال عن الحضور كنا نلغى مقابلتنا .. وكان هذا أمرا محزنا حقا .

وكان مأمور السجن وطبيبه هما الرجلان الوحيدان اللذان يسمح لهما بدخول سجن النساء ، وبالرغم من أن أكثرنا أنوثة كن ينكرن بشدة أن نرى رجلا من وقت لاخر الا أنهن كن ينفقن معظم الوقت عند حضور أحد الرجلين الى عنبرنا فى الحديث معه وفى عتابه على أى خطأ يظهر فى السجن .

وهكذا سارت الحياة فى السجن يوما بعد يوم .. كنا نشعر حينا بالوحدة والفراغ والشوق الى من تركناهم فى العالم الخارجي وكنا فى أحيان أخرى نشعر بالسعادة والرضا .. ونحن نعمل أو نقرأ أو نتناقش فى مختلف الامور .

وكانت معظم السجينات يبدين نحونا ودا صادقا وكانت بعضهن مسليات جدا وعلى درجة كبيرة من الذكاء ، كانوا يرقصن ويغنين وكانت احداهن — وهى هنـــدية انجليزية مولدة — خبيرة تماما بالرقص والغناء .. كانت مخلوقة غريبة جدا ولابد أنها كانت جميلة جدا عندما كانت أصغر سنا ، فلنسميهـا مارى اذ أننى لا أحب أن أذكر اسمها الحقيقى . كانت فى أكثر الاحيان توضـــع فى زنزانة انفرادية ، فقد كانت دائمة المخالفة لتعليمات السجن، وكانت شديدة الذكاء والصـــلابة .

وذات يوم وكان قد سمح لها بالخروج من زنزانتها بعض الوقت، جاءتنى وقالت « هل تعرفين يا سيدتى أننى قريبة احدى الممثلات الانجليزيات الكبار ؟ نعم يا سيدتى .. رغم أنك ربما لا تصدقينى »

« ولماذا أتيت الى السجن يا مارى .. ولماذا بحق الســـماء لا تسلكين هنا سلوكا مستقيما فتعودين الى بيتك ؟ »

قالت : آه يا عزيزتى .. سأذكر سرا ما دمنا سجينات معـا ، لقد دخلت السجن وخرجت منه أكثر من مرة ، وفى كل مرة أخرج فيها كان الرجال يتابعوننى .. انهم يظنوننى جميلة .. وفى كثير من الاحيان يسيئون الى سمعتى لمجرد أننى ابنة عم الممثلة الشهيرة .. انهم يضايقوننى الى حد أننى أفضل أى شىء يعيدنى الى السجن حيث أكون بعيدة عن ملاحقتهم .. !!

وذات ليلة وكان السكون شاملا وقد نام الجميع أيقظتنى الفتاة النائمة الى جوارى وقالت :

— اصــــغى جيدا .. هل تسمعين شـــيئا .. ؟

فأرهفت سمعى .. كان هناك بين حين وآخر صوت ناقــوس يدق خافتا من بعيد .. فسألتها :

— ما هـــذا ؟

قالت صديقتى : لا أدرى .. ولكن هذا الصوت يجعلنى أقشعر .. فقد كانت هناك فتاة كانت تعمل راقصة .. وقد حكم عليها بالاعدام وشنقت .. ربما كان هذا شبحها يحوم حول السجن.

فارتعشت .. فلم أكن أرغب فى رؤية الاشباح سواء داخل السجن أو خارجه ولكنى تظاهرت بعدم الاهتمام ، ونصحت صديقتى بأ تتوهم أشياء غير حقيقية •• وقلت لها أنه من غير المعقول أن تحوم الاشباح حول السجن ، فأنا متأكدة أنه حتى الاشباح لن ترضى بالاقتراب منا ، ولم تكن صديقتى تأخذ الامر مأخذ الهزل فأشاحت بوجهها عنى .. وأخذت الاصوات تبتعد رويدا رويدا وسرعان ما اختفت تماما عن أسماعنا .

وفى الليلة التالية استيقظنا مرة أخرى على الصوت نفسه .. ولم نرتح له أبدا .. فظلت كل منا راقدة مستيقظة تحاول أن تحدد طبيعة هذا الصوت دون جدوى ، واستمر الحال على ذلك ثلاث ليال ، وفى الليلة الرابعة اقترب الصوت وأصبح أكثر وضوحا ، فانتظرنا بأعصاب مرهفة وسرعان ما رأينا شيئا متشحا بالسواد يقف على ناصية أحد العنابر ينبعث هذا الصوت المرتعش منه ، ولم نستطع للوهلة الاولى أن نحدد ما هو .. ثم خطر لنا أنه قد يكون احدى الحارسات .. وكانت فرحتنا كبيرة بهذا الاكتشاف الى حد أننا سنصرخ فرحا ، فقد كان المفروض أن تتفقد الحارسة سجن النساء كله فى كل ليلة .. ولكن نظرا لكسلها فقد رأت أنه ليس من الضرورى المرور على قسم المسجونات السياسيات فظلت بعيدة عنا تتفقد العنابر الاخرى ، أما الصوت المرتعش فكان صوت حزمة المفاتيح الضخمة التى تتدلى من وسطها .

وفى صباح اليوم التالى قررنا أن نخبر الاخريات وأن نضحك كثيرا حتى ولو كان الامر على حسابنا . وما أن بدأنا حكايتنا حتى رأينا كل واحدة منهن تنظر الى الاخرى نظرات ذات مغزى . فسألناهن عن السر •• فقلن لنا بعد كثير من الالحاح انهن جميعا أحسسن بما أحسسنا نحن به وظنن فى الامر شىء كذلك .. ولكنهن رفضن ذكر أى شىء لنا حتى لا نفزع .

ولم تكن قصص السجن كلها مماثير الضحك .. فقد كانت المعاملة التى تلقاها السجينات الصغيرات تجعل الدم يغلى فى عروقنا

ومع ذلك فقد كنا عاجزات عن مساعدتهن . كانت السجانات من أسوأ طراز وكانت معاملتهن للسجينات السياسيات فى غاية القحة والمهانة . وكان من الصعب جدا أن يحتفظ الانسان بهدوئه وهن يتحدثن الينا بهذه الوقاحة ولكن الامر كان يسوء كثيرا جدا عندما يتحدثن الى المسجونات الاخريات فى فرية من السباب والاهانة لاقل خطأ .

وزحفت الايام بطيئة بطيئة .. وجاء الشتاء .. كان باردا قارسا كما لا يحدث الا فى مدن الشمال .. وليست هناك ابواب تقينا مرارة الرياح الباردة المتوحشة .. ولم تكن القضبان الحديدية لتمنع مرور الريح .. ثم جاءت بضعة أيام لطيفة .. ولكنها سرعان ما انقضت ليبدأ بعدها الصيف بعواصفه الرملية ورياحه الحارة .. وكانت ايامه اكثر قسوة من ايام الشتاء .. ومع ذلك فقد ظللنا أحياء .. وبدأت الامطار الحبيبة ومن بعدها بوادر الشتاء مرة أخرى .. وفى نهاية شهر ديسمبر افرج عند أنا وأختى .. وكانت بعض زميلاتنا قد خرجن من قبل .. وكان بعضهن قد بدأ سجنه بعدنا فتركناهن وراءنا .. وبرغم شوقنا الى بيوتنا فقد شعرنا بشيء من الحزن لفراق زميلاتنا .

لم تكن حياة السجن سارة ابدا ولكنها كانت تجربة ضخمة وقد سرنى كثيرا أننى توطدت أواصر الصداقة بينى وبين عدد من المسجونات اللائى كن يعتبرن خطرات على المجتمع ومع ذلك فقد كان فيهن من الانسانية ما يفوق كثيرين ممن نقابلهم فى حياتنا العادية . كنت سعيدة بعودتى إلى بيتنا ولكن كان من المؤلم حقا أن يفكر الانسان فى ان تلك المخلوقات التعسة اللاتي خلفناهن فى اسجن سيقضين فيه عدداً آخر من السنين الطويلة .. وعندما يفرج عنهن فى النهاية لن يجدن المنزل أو المأوى أو اية أيد حانية تقودهن نحو حياة جديدة .. فلم يكن لديهن غير الخبث الذى تعلمنه فى السجن يساعدهن على محاولة شق طريق شاقة فى الحياة تنتهى بهن مرة اخرى الى ارتكاب جرائم جديدة بدافع من الجوع والحاجة .. ويعدن ثانية الى السجن ربما ليقضين فيه بقية أعمارهن .

وكثيرا ما نقرأ فى الصحف عن فتيات صغيرات تصدرت عليهن



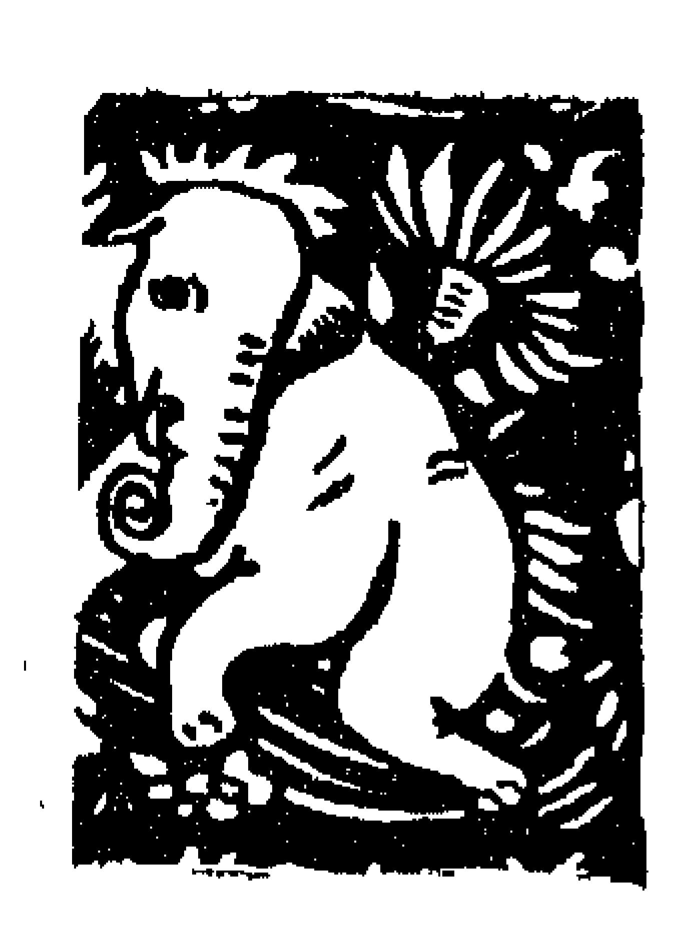
أحكام فى جرائم بشعة .. وعن نساء قتلن هذا او ذاك .. وعن هؤلاء اللائى يصدر عليهن الحكم تلو الحكم ونرفض أن نصدق ان هذا كله يمكن أن يحدث .. ونحن الذين نحيا حياة سهلة تحوطنا رعاية كل الذين يحبوننا لا نعرف شيئا كثيرا عن أخوات لنا أقل حظ منا يواجهن ألوانا من المآسى .. ونحن يملؤنا الرعب عندما نسمع أو نقرأ عن جريمة بشعة ولكنى أتساءل هل كنا سنتصرف نحن تصرفا آخر لو أننا ووجهنا بنفس الظروف ..؟؟

لقد كان سجننا سجن الصغيرات .. وكانت المسجونات جميعا فتيات تقل أعمارهن عن الحادى والعشرين .. كانت معظمهن رقيقات مليئات بالعاطفة وحسن التقدير رغم ان المجتمع قد اعتبرهن خطرا عليه .. وكان ذلك يبدو غريبا حقا .. لقد كن صريحات طيبات اذا عوملن فى كرم وود .. ومع ذلك فقد صدرت الاحكام عليهن بالسجن سنوات وسنوات لمجرد أن الحياة كانت غير رحيمة عليهن وفى لحظة من لحظات الغضب ضعفن امام احدى الغرائز الشيطانية التى نحسها جميعا فى أعماقنا ولكننا لا نضعف امامها لسبب ما وصلنا اليه من رقى .. لقد كنت اشعر بالحزن وقد تركت صديقاتى هؤلاء .. كما شعرت بالخجل من نفسى أن تقدم لى الحياة عديدا من خيرها ولا تقدم لهن منه شيئا ..

وفى ذلك اليوم .. عندما سرت فى ممرات السجن واجتزت عتبته الخارجية أنا وبعض زميلاتى اللائى أطلق سراحهن فى نفس اليوم ــ دعوت الله الا يسمح بان تقضى هؤلاء الفتيات اعمارهن فى السجن .. وأن يأتى لهن بقوة من عنده تعيدهن الى بيوتهن .. والى حياة وادعة سعيدة ..

ونظرت خلفى مرة لالقى نظرتى الاخيرة على السجن الذى كان لى مأوى عاما كاملا .. بجدرانه القاتمة المنفرة التى تحجز خلفها فتيات فى عمر الربيع .. وتحركت بواباته الضخمة تغلق من جديد لتحجب عن ذلك الجمع من الفتيات الصديقات وقد وقفن فى ساحة السجن يلوحن بايديهن فى وداعنا . فرددت عليهن التحية وأشحت بوجهى بعيدا حتى لا ترى زميلاتى دموعى وقد انحدرت من عينى .. ولكنى لم انجح فى اخفائها فضحكن منى وسألننى ان كان يحز فى قلبى كثيرا ان أترك السجن ..؟

ولم يكن يعرفن لمن تسيل دموعى .. فهن لم يعرفن أولئـــك السجينات الصغيرات مثلما عرفتهن انا وأختى .. فقد بقين بعيدات عنهن ولذلك فانهن لم يقدرن حقيقة شعورنا نحوهن .. لقد سالت دموعى لاننى كنت اترك وراء ظهرى مجموعة من الفتيات الصغيرات اللاتى لا يجدن من يأخذ بايديهن .. وقد حكم عليهن بالسجـن سنوات طوال لجرائم ارتكبنها بدافع من الجهل والبؤس .. وقد اضطررن بدافع من القسوة والاهمال فى معاملتهن الى ارتكاب أعمال لم يكن ليرتكبنها ابدا لو لم يكن الفقر والاهمال والقسوة من نصيبهن لقد كنت عائدة الى بيتى .. الى احبائى واصدقائى ينتظروننـــى ويرحبون بعودتى ـ بينما هن ـ اننى لا اجرؤ على التفكير فيمـــا ينتظرهـــن ..





« أرق الاشياء تأتى نهايتها سريعا ..

ويبقى عطرها بعد ذهابها ..

ولكن المرارة هى عطر الزهرة ..

لمن يحب الزهور ..

فرانسيس تومسون

# - ٧ -

كانت المرة الاولى التى رأيت فيها كمالا فى حفلة أقامها والدى فى أنان بهاوان ٠٠ كنت صبية صغيرة حينئذ ولم يكن يسمح لى بحضور هذه الحفلات ولكنى كنت أستطيع التطلع اليها من الشرفة ٠٠ وهو ما فعلته ليلتئذ ٠٠ وأذكر أن احدى عماتى أشارت الى كمالا وقالت : «هل ترين هذه الفتاة .. وهل تعتقدين أنك ستحبينها ؟٠٠ أنها ستصبح كأختك تماما » ٠٠

ونظرت الى حيث أشارت عمتى فرأيت فتاة طويلة نحيلة رائعة الجمال تجلس على احدى الموائد مع مجموعة من الناس ٠٠ ولم أكن حينئذ أعرف ماذا تعنى عمتى بقولها انها ستصبح كأختى ، ولكنى قدرت على كل حال أنها ستأتى لتعيش معنا ٠٠ وفكرت أنه من الافضل تماما أن تكون لى أخت أخرى ولو اننى كنت أفضل لو انها كانت أصغر من ذلك ٠٠ وفى مثل سنى ٠٠ ولن أنسى أبدا صورتها فى ذهنى فى تلك الليلة وذلك الشباب وتلك النضرة التى كانت تجرى فى عروق كمالا ٠٠ وكانت ابنة السابعة عشر ٠٠

وتم زواج جواهر من كمالا بعد تلك الليلة بعدة شهور وكان ذلك فى دلهى ، وجاءت كمالا لتعيش معنا ، وأنا أذكر الان تماما ذلك الفخر الذى كان يشعر به والدى وهما يقدمان زوجة ابنهما الجميلة لاصدقائنا ٠٠ لم تكن جميلة فحسب ولكنها كانت أيضا رمزا للشباب والصحة ٠٠ وعندما كان الانسان ينظر فى وجهها كان من المستحيل عليه أن يتنبأ بأن هذه الفتاة بالذات ستقضى معظم عمرها طريحة الفراش ٠٠

والظاهر أن الزواج ترك أثرا طيبا بالنسبة لكمالا وجواهر على السواء ·· وكان المستقبل أمامهما باسما لا تعكر صفوه أية سحابات سوداء ·· ومرت عليهما عدة سنوات من السعادة ·· وفجأة بدأت التغيرات فى الظهور ··

فقد استحوذت السياسة على حياة جواهر كما استحوذت على حياة والدى ·· وتحولت حياتنا تحولا تاما بعد أن دخلها رجل نحيل يبدو الجوع على مظهره ·· كما دخل حياة الكثيرين غيرنا ·· كان هذا الرجل هو غاندى ، وفعلت كمالا ما فعله كل افراد عائلتنا ·· تنازلت عن الكماليات جميعا ·· وأصبحت واحدة من أشد أتباعه اخلاصا ·· وقد حمل لها كل تقدير فى نفسه ·· كما حملت كل تقدير له وللقضية التى جعلها عزيزة لدينا جميعا ··

لم تكن كمالا قد عرفت فى حياتها المتاعب أو الاحزان .. فقد كانت حياتها قبل زواجها من جواهر حياة سهلة ناعمة لا يقلقها من غدها آمر ·· وفجأة تغير كل هذا وأصبحت حياة تقوم على القلق والفراق والآلام الى جانب المتاعب الصحية ·· وقد واجهت كمالا كل هذا بشجاعة نادرة والابتسامة على شفتيها ·· لم أسمع منها مرة كلمة شكوى أو ضيق — ولم تضق بحظها كما يفعل معظمنا اذا جاءت الاحداث بغير ما يشتهى ··

وعندما وهب جواهر حياته لبلاده لم تتردد كمالا لحظة واحدة فى الوقوف الى جانبه ·· واذا كان فى الهند كلها جندى مثالى تتجه أفكاره فقط نحو بلاده دون أن تتجه الى ذاته ·· ولا يهن نشاطه وله من الشجاعة ما يندر أن يصادفه انسان ·· فهذا الجندى هو كمالا ·· والناس لا يعرفون عن كمالا الشيء الكثير ·· وكما قالت احدى صديقاتها فيما كتبته عنها : « كانت حياة كلهب لمبة زيت ترتعش وتضيء وتزيد حدتها رويدا رويدا ، وعندما يجف الزيت .. وفى هدوء تام يرتعش اللهيب .. ثم يذوى .. »

ويقال فى الامثال « ان من يحبه الله يتوفاه شابا » ·· ولا بد أن يكون هذا صحيحا فان أحدا لا يمكنه ألا يحب كمالا أو يعشق روحها ·· ورغم أنها عاشت فى جو تطغى فيه شخصيات قوية كزوجها ووالده الا أنها قد استطاعت مع ذلك أن يكون لها مكانها



فى الحياة السياسيه ·· وكان من الممكن أن تزيد شهرتها فيها لو لم يعجل الموت فيختطفها فى حماقة وقسوة ·· كان بنيانها ضعيفا ، أما شخصيتها فكانت قوية صادقة ·· وقليلون - فيما عدا اللذين عرفوها عن قرب - من يعرف شيئا عن القوة التى ترقد خلف عينيها الوادعتين وروحها الهادئة ··

لقد كانت لها فضائلها الكثيرة ·· ولكن كانت لها أخطاؤها أيضا ·· وكل أخطائها أنها كانت تبدو كطفلة ·· وكأنها لم تتجاوز أبدا هذه المرحلة ·· فكانت فى بعض الاحيان تهمل صحتها اهمالا فظيعا ·· ولم يكن أى قدر من النصائح يقنعها بمراعاتها حالتها الصحية .. ورغم كل ما اصيبت به من أمراض أودت بها فى النهاية فانها لم تكبر أبدا ·· فقد ظلت تحتفظ حتى النهاية بنظراتها الطفلة وهيئتها التى كانت لها قبل الزواج ·· لقد أثرت الامراض على جسمها من الداخل ، أما هيئتها الظاهرة فلم تتغير طوال السنوات التى عرفتها فيها ··

لقد ظللت سنوات بعد زواج كمالا وأنا لا أراها الا قليلا ·· فقد كانت عقب زواجها مشغولة بأيامها ·· ثم أنها انشغلت بعد ذلك بألوان من النشاط الاجتماعى ·· فقد كان والدى كثير الدعوات وكانت كمالا - نظرا لسوء صحة والدتى - تقوم بمهمة المضيفة فى حفلاته ··

وفى عام ١٩٢٦ عندما سافرنا معا الى أوروبا بدأت أعرف كمالا عن قرب وأصبحنا صديقتين حميمتين ·· وقد كانت تدور بيننا كثير من المناقشات الحادة حول كثير من مسائل الحياة التى تعنينا أو حول كثير مما نقرأ أو نسمع على الاخص اذا كان متعلقا بحقوق المرأة .. ولكن هذه المناقشات جميعا تنتهى دائما نهاية سعيدة ·· وقد لازمت كمالا فراشها معظم اقامتها فى أوروبا ··

وكانت الشهور التى قضيناها معا عندما كانت تستطيع التجول شهور عظيمة حقا .. كانت دائما شغوفة بأن ترى أشياء جديدة .. وأن تعرف أشياء جديدة ·· كانت تستمتع الى أقصى حد بكل رحلة تقوم بها فى الخلاء وبكل دعوة توجه لنا ·· وكانت لا تتقاعد عن الاشتراك فى أية رياضة تقبل عليها مجموعتنا مهما كانت درجة

التعب الذى تشعر به ·· ولم تكن تشكو أبدا مهما كانت قسوة ما تعانيه من ألم ··

وعندما عدنا من آوروبا ازدادت العلاقة بيننا توثقا ·· فقد ساهمنا معا فى الحياة السياسية وعملنا فيها جنبا الى جنب ·· وفى هذا المجال أيضا ارتفعت كمالا فى عينى لنشاطها العظيم ·· فكثيرا ما كنت أخضع لضغط التعب والارهاق وألزم المنزل فى الوقت الذى ترفض هى فيه أن تكف عن العمل راغم أن صحتى كانت أقوى بكثير جدا من صحتها ·· كانت تغادر فراشها فى الساعة الخامسة صباحا فى أيام الشتاء الباردة لتقوم بتدريب المتطوعات فى هذه الفترة المبكرة من الصباح ·· وعندما تحين الساعة الثامنة صباحا كانت تبدأ عملنا اليومى فى حراسة محال الثياب الاجنبية ..

وقد اتبعت كمالا هذا النظام طوال شهور الشتاء الباردة .. فكانت تعمل اليوم كله ·· وعندما حل الصيف استمرت فى عملها المعتاد رغم حرارة الجو ووهج الشمس ·· وقد استمرت الكثيرات منا فى العمل أيضا ولكننا كنا نثور فى بعض الاحيان ونشعر بالتعب الممض ويهبط حماسنا ·· الامر الذى لم تكن تفعله كمالا أبدا ·· فلم تكن عقيدتها تهتز أبدا ·· ولكن هذا الارهاق الذى أخذت به نفسها قد عجل بها نحو نهايتها .. فرغم قوة روحها الا أن جسدها المكدود لم يستطع حمل كل ما ألقى عليه من أعباء ·· وانتصر الموت فى النهاية ··

ورغم هدوء كمالا ووداعتها فقد كانت آراؤها فى الحياة قاطعة وكانت بمجرد أن تتخذ لنفسها قرارا تصمم على التصرف بمقتضاه فى عزم قاطع لا يزعزعه ضعف صحتها ·· وكان من الطبيعى أن تحجبها شخصية جواهر الى حد ما ولكنها لم تحجبها تماما ، فقد كانت تتمتع بشخصية قوية ··

وكانت كمالا من أشد المتحمسات لقضية المرأة .. وكثيرا ما خاضت المعارك من أجل حقوق المرأة بين أصدقائها وزملائها ·· وكثيرا ما جرت عليها هذه المواقف المتاعب من جانب الرجال فقد كانوا يقولون ان زوجاتهم يستمعن الى كمالا ويأخذن بنظرياتها

التى لم تكن تروقهم أبدا ٠٠ أما هى فكانت فخورة بأنها استطاعت أن تلعب ولو دورا صغيرا فى كفاح بلادها فى سبيل الاستقلال كما كانت سعيدة بما تراه من التفاف الملايين وحبهم لجواهر ٠٠ ولم تحسده يوما على ما بلغ من شهرة ولم تحس يوما بالغيرة من المعجبين به ٠

ومنذ عام ١٩٣٤ بدأت صحة كمالا تسوء فى سرعة رهيبة ٠٠ فأرسلت الى احدى المصحات فى « بهوالى » ٠٠ وقضينا حينئذ أياما قلقة ندعو ونصلى من أجلها ٠٠ ولكن حالتها استمرت فى الهبوط .. وسيق جواهر مرة أخرى الى السجن .. وكان هذه المرة فى ألمورا ، فكان يسمح له بزيارتها من حين لاخر ٠٠ وكم كانت هى تتوق الى هذه الزيارات وما كان أسرع الساعات التى يقضيانها خلال هذه الزيارات معا ٠٠

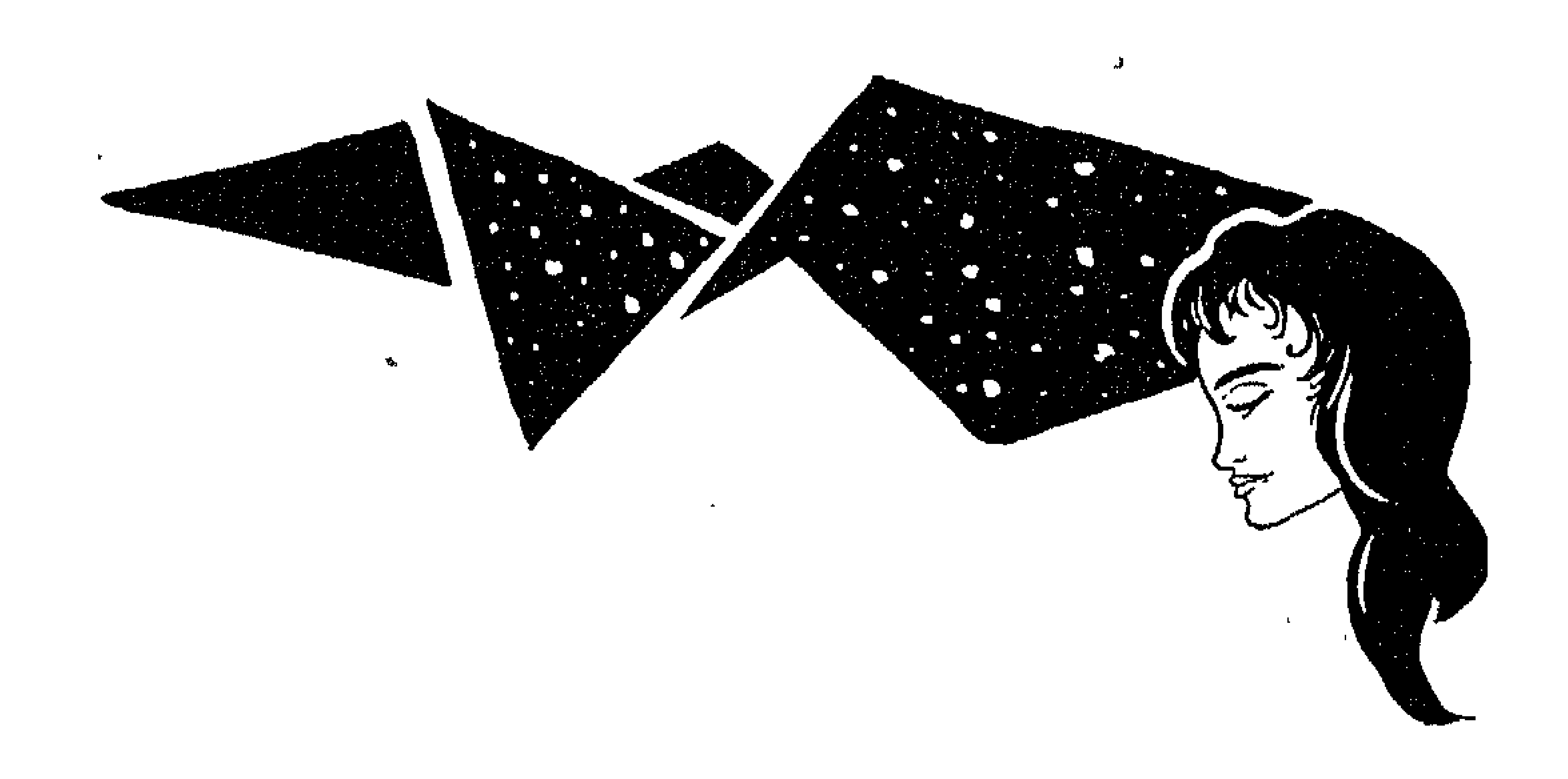
وأخيرا اقترح الاطباء أن تذهب كمالا الى سويسرا ٠٠ وكنت قد ذهبت أنا وزوجى راجا الى « بهوالى » لنكون بالقرب منها وذلك قبيل رحيلها ٠٠ وكنت قد رزقت ابنا لم يكن عمره يتجاوز حينئذ الشهرين وكان سرور كمالا لرؤياه أكثر من سرور أمى نفسها ٠٠ وقد هددتنى حينئذ بأنها ستنزعه منى بمجرد عودتها من سويسرا وتقوم على تربيته بنفسها اذا لم أحسن أنا تربيته ٠٠

وفى اليوم المحدد لسفرها سمح لجواهر بأن يأتى اليها من سجن ألمورا لوداعها ٠٠ ولم يكن أحد يدرى أى أفكار كانت تتنازع رأسه فى ذلك اليوم الكئيب ٠٠ ولكن الذى رآه الجميع فى ملامح وجهه كان يقطع نياط القلوب ٠٠ كانت عيناه تختزن كل الأسى الذى حاول جاهداً أن يخفيه تحت ستار من الجمود ٠٠ وعندما حانت لحظة الرحيل ودع كل منهما الاخر وعلى فمه ابتسامة شجاعة .. وانطلقت سيارتها الى سفح الجبل لتقل منه القطار الى بومباى ٠٠ أما جواهر ٠٠ فقد احتضننى أنا وأمى وفى عينيه دموع لم تسكب ٠٠ ثم اختفى داخل السيارة التى كانت فى انتظاره لتعود به الى السجن ٠٠

وأحسست عندما أدار ظهره لنا فى اتجاه سيارته أنه فقد ربيع حياته وتخلى عنه نشاطه الذى لم يتخل عنه أبدا ٠٠ كان محطما تماما وزاد سنه فى لحظات الوداع سنوات وسنوات ..

وقد أفرج عن جواهر بعد ذلك ببضعة شهور فطار الى أوروبا حيث كانت كمالا تجتاز فترة صراع مع الموت ٠٠ الذى غلبها أخيرا ٠٠ وكان ذلك يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٣٦ فى قرية ألمانية صغيرة حيث رقدت رقدتها الاخيرة وجواهر وأنديرا ٠٠ يعلقان أنفاسهما الى جوار فراشها ٠٠





الحياة مجموعة من الظلال والضياء..

وبعضا من الانتصارات والدموع ..

تحملها السنين !!

ايدن فيلبوتس

## - ٨ -

عاد جواهر الى الهند عقب موت كمالا فى مارس عـــام ١٩٣٦ تاركا انديرا فى احدى مدارس انجلترا ٠٠ وكنت تواقة الى الذهاب اليه لرؤيته ولكننى لم أستطع ذلك حتى بلغ طفلى الجديد شهرا من عمره ٠٠ وكانت الرحلة مؤلمه وكنت أفزع من رؤية أخى بعد مأساة وفاة كمالا ٠٠ وكان حبى العميق لهـــا يجعلنى أقدر تماما مدى الصدمة التى أصيب بها جواهر ٠٠

وعندما وصلنا الى أناند بهاوان خرج جواهر لاستقبالنا ٠٠ كان وجهه الذى عهدنا فيه الشباب والنضرة منـــذ شهور قد علاه التغضن وارتسمت عليه خطوط الأسى ٠٠ وكان متعبا محطمـــا يائسا ٠٠ وراغم محاولاته القاسية لاخفاء أحزان قلبه الا أن نظرات عينيه كانت تكشف عن عالم الأسى والدموع يؤلم كل الذين يحيطون به ٠٠ ومكثنا فى الله أباد لعدة أسابيع تركناها بعدها الى لكنو ومعنا بقية أفراد الاسرة لنحضر اجتماع المؤتمر هناك ٠٠

كان جواهر قد انتخب رئيسا لدورة المؤتمر فى ذلـك العـام ٠٠ واستطاعت السياسة أن تعود الى عادتها معه فتشغل كل أيامه ٠٠ أما الأسى والحرمان فقد وضعهما فى جانب عزيز من نفسه ٠٠ وانطلق جواهر يعمل فى عديد من الاجتماعات ويقـــوم بما لا يحصى من الاعمال رغم الحزن والوحدة ٠٠ وأعيد انتخابه مرة أخـــرى لرئاسة المؤتمر فى دورته التالية « فايزبور »

وما أن انتهت دورة المؤتمر فى « فايزبور » حتى بدأت معركة انتخابات المجالس الاقليمية فى الهند كلها ٠٠ واندفع جواهـــر الى

قلب المعركة يدعو لمرشحي المؤتمر .. أخذ يطوف بأرجاء الهند الواسعة يخطب في مئات الاجتماعات في المدن والقرى حتى نجح في بعث حماس الجماهير الذي كان قد هدأ بعد المعركة الاخيرة .. وأحرز المؤتمر الاغلبية الساحقة في سبع مقاطعات ووافق – بعد عديد من المناقشات – على الاشتراك في وزارات هذه المقاطعات بعد أن تم توقيع الاتفاق مع الحاكم العام .. وكانت غالبية وزراء المؤتمر ممن قضوا السنين وراء قضبان السجون .. وأصبحت اختي سوارب وزيرة .. كانت الوزيرة الوحيدة .. والوزيرة الاولى في الهند كلها ..

كانت سوارب منذ طفولتها على قدر كبير جدا من اللباقة .. وكانت على درجة من العظمة تؤهلها لان تكون وزيرة .. وكان من النادر ، بل من المستحيل ، اثارتها ، وكانت لديها القدرة على مواجهة كل أنواع المواقف في هدوء تام .. وكانت جاذبيتها وثقتها بنفسها وجمالها من العوامل التي تضمن لها الوصول الى قلوب الجماهير ..

وقد نجحت تماما في مهمتها كوزيرة .. ولم تكن المهمة سهلة بالنسبة لها .. فلم تكن قد اكتسبت أية خبرة في مثل هذا العمل .. ولكنها استطاعت أن تصل الى درجة التفوق والامتياز بفضل ما تتمتع به من شعبية .. وقد أظهرت سوارب عندما بدأت تساهم بقسط ايجابي في الحياة السياسية – مقدرة على الخطابة أدهشتنا جميعا .. كانت كأنها قد ولدت لتكون خطيبة ونادرا ما كانت تبدو عليها العصبية مهما اتسع عدد الجمع الذي تخطب فيه .. وكانت دائما تخطب في طلاقة وبساطة سواء باللغة الهندوستانية أو اللغة الانجليزية ..

وقد بدأ شعر سواروب منذ شبابها المبكر يميل الى البياض – وهو ضعف متوارث في الاسرة – وفي سرعة خارقة بدأ البياض يزيد فيه حتى أنها الان تحمل فوق رأسها شعرا فضيا ناصع البياض كل ما يفعله هو أن يزيد من جمالها ..

وهي أم كاملة .. وزوجة مثالية .. وبالرغم من أن السياسة تحتل الجانب الاكبر من وقتها الا أنها تجد دائما من وقتها ما يمكنها من رعاية شئون بيتها وأولادها ..

وقد اعتاد جواهر أن يحضر الى بومباى مرتين أو ثلاث فى كل عام يمكث فيها بيننا ⋅⋅ وكنا نحب ذلك كثيرا رغم أننا لم نكن نراه بالقدر الكافى خلال هذه الزيارات فهو دائما مشغول فيها بما لا يحصى من المقابلات ⋅⋅ وفى أثناء زياراته لنا كان نظامنا فى بيتنا الصغير يتغير من أساسه ⋅⋅ فمنذ الصباح الباكر حتى ما بعد منتصف الليل يتوافد سيل لا ينتهى من الزوار بعضهم جاء بعد تحديد موعد للمقابلة وجاء البعض لمجرد القاء نظرة على جواهر ⋅⋅ ولا ينقطع جرس التليفون عن الرنين المتواصل لا ينقطع رنين جرس المنزل ⋅⋅ وعلى أن أقضى وقتى كله بينهما ⋅⋅ ويصبح من المستحيل تحديد مواعيد معينة لتناول الطعام وتلغى كل جلساتنا الخاصة ⋅⋅ ولم أكن أعرف أبدا كم سيكون عدد ضيوفنا على مائدة الغداء أو العشاء ، وكان على لهذا أن أضع لمطبخى نظاما مطاطا يستجيب فى أية لحظة لدعوة عشرة أو عشرين ضيفا ⋅⋅

وكانت الحياة حينئذ تبدو وكأنها شوط طويل سريع دائما ⋅⋅ ولم يكن جواهر ليظهر لنا الا ساعات تناوله الطعام الا اذا اصطحبناه فى مقابلاته ⋅⋅ أما فى المناسبات النادرة التى نحتفظ به فيها لانفسنا وكنا نقضى معه ساعات عذبة حقا نستمع اليه فيها يروى حكاياته الطريفة ويتحدث ويضحك ويتناقش فى الامور العامة أو فى بعض الاحيان عندما تتاح له فرصة قضاء أمسية هادئة بالمنزل يسمعنا قصائد من الشعر أو يقرأ لنا بعضها ⋅⋅ وأنه لشىء ممتع حقا أن يستمع المرء الى جواهر وهو يلقى الشعر ⋅⋅ فطريقته رائعة فى أدائه ⋅⋅

وفى يناير من عام ١٩٣٨ ماتت والدتى فجأة فى نوبة شلل وعقب موتها بأربع وعشرين ساعة ماتت خالتى – وهى أختها الكبرى – عقب نوبة شلل هى الاخرى .. فكانت هذه المأساة المزدوجة ضربة مروعة لنا جميعا ⋅⋅ وكنت لحسن الحظ فى الله‌أباد عند ما حدثت المأساة ⋅⋅ وعدت الى بومباى حزينة كاسفة البال ⋅⋅ فقد كنت أعلم أن منزلنا الكبير لم يعد له قيمته الاولى بغير أمى ⋅⋅ لقد ذهبت عنه حيويته القديمة ⋅⋅ وأبدا لن تعود ⋅⋅

وقبل أن ينتهى ذلك العام أراد جواهر أن يذهب الى أوروبا لرؤية أنديرا ⋅⋅ وقد عزمت أنا وراجا على الذهاب معه ولكن حدث فى

اللحظة الاخيرة أن استحال على راجا ترك عمله ٠٠ فاقترح على أن أذهب بصحبة جواهر ولكن لم ترق لى فكرة سفرى بغير راجا تاركه ورائى ولدى الصغيرين ٠٠ والى جانب هذا فقد كنت قد أعـــددت خطتى منذ زمن أن أزور أوروبا فى صحبة راجا ٠٠ وقد أسفت لعدم سفرى مع أخى اذ أنه تمكن خلال هذه الرحلة من السفر الى اسبانيا وكانت رحى الحرب الإهلية دائرة بها فكانت زيارته لها مليئـــة بالمفاجآت والحركة ٠٠ وعندما عاد جواهر اصطحب انديرا معـــه فى أجازة قصيرة ٠٠

وفى ابريل من عام ١٩٣٩ قررت انديرا أن تعـود الى انجلترا لاتمام دراستها ٠٠ ومرة أخرى أعددت العدة أنا وراجا للقيام برحلة حول العالم نصطحب انديرا فى جزء منها ٠٠ ومرة أخرى أيضـــا ألغى المشروع نظرا لعدم رغبة راجا فى ترك عمله فى لجنة التخطيط القومى فى تلك الفترة بالذات ٠٠ وعقدنا الامل على الســـفر فى فرصة أخرى بالرغم من سحب الحرب التى كانت قد بدأت تتجمع فى الافق ٠٠ ولكن هذه الفرصة لم تحن بعـــد أن اندلعت نيران الحرب واستحال علينا السفر ٠

وعند نهاية عام ١٩٤٠ قررت انديرا أن تعود الى وطنها نهائيا ٠٠ وكانت قد ذهبت الى سويسرا بعد أن أصيبت بمرض حاد ٠٠ وعندما علمت أنها ستعود الينا فى أول طائرة ممكنة غمرنى الفرح الذى كان يشوبه بعض القلق .. وقد عبرت عن قلقى هذا لجواهر وكان حينئذ فى سجن « هرادون » ٠٠ فرد على بطريقتـه المتميزة فى التوجيه متهما اياى بأننى أفكر بعصبية وعلى طريقة العجائز ٠٠ وكتب يقول « اننى سعيد بعودة انديرا ٠٠ ولا شك أن عودتهـا مغامرة تحمل بعض الخطر ٠٠ ولكن هذا كله خير من احتمال الوحدة والتعاسة ٠٠ وما دامت قد قررت العودة فعليها أن تتحمـــل كل النتائج المترتبة على قرارها ٠



كفى .. كفى .. هل يجب ان يعــود

الموت والكراهية من جديد ؟

كفى .. هل يجب أن يقتتل النــاس

بعضهم ويموتون .. ؟

كفى .. لا تدعوا هذه النبوءة المريرة

تعيش بيننا .. فالعالم متعب من الماضى

هل له أن ينال الراحة فى النهاية أو

لعله يفنى ..

شيلى

فى عام ١٩٣٩ عندما قرر جواهر الذهاب الى سيلان ، وسألنى أن أكون بصحبته ·· قبلت دعونه بشغف ·· فقد كنت دائما أود زيارة سيلان ولكن لم تتح لى الفرصة من قبل ··

كان جواهر ذاهبا الى سيلان فى مهمة رسمية على أثر الخلافات المريرة التى نشبت هناك بين الهنود والسنغال ·· فقد رئى أن يذهب جواهر الى هناك لينظم الامور بنفسه ، واذا أمكن ان يوفق بين الشعبين المتنازعين ·

وفى صبيحة أحد الايام ·· بين الضباب والغيوم ·· ركبنا الطائرة من مطار بونا ·· وقد جاء لتوديعنا اناس كثيرون برغم أن الوقت كان مبكرا .. كان هناك اعضاء الكونجرس او اصدقاء جواهر المعجبين به .. وبدأت الرحلة .. وفى أثناء الطريق هبطنا فى حيدر اباد حيث تناولنا الغداء مع مسز ساروبين نايدو وعائلتها ·· وكان غداء ممتعا حقا ·· وبعد ذلك قصدنا كولومبو حيث وصلنا هناك فى اليوم التالى عن طريق مادراس وتريتشينوبولى ··

وبينما كنا نحلق فوق مطار مونت لافينيا ·· رأينا جموعا حاشدة من الناس ·· ولم يشأ قائد طائرتنا ــ هذا الشاب الماهر الجذاب ــ لم يشأ أن يهبط مباشرة بل أخذ يدور حول الجموع وهو يقترب منهم ببطىء ·· وفجأة اتجه الى أعلى حيث اندفع ثانية نحو الارض كما لو كان يؤدى التحية ·· وبمجرد نزولنا الى المطار اندفعت الجماهير نحو الطائرة ·· ولم يستطع المسئولون التحكم

فيهم الا بصعوبة ٠٠ لقد أتى الناس من كل صوب ليحيوا جواهر ٠٠ وحقا لقد أستطاعت تحياتهم الصادرة من قلوبهم ٠٠ وكانت تلك العاطفة التى أظهرها لنا السنغال والهنود على السواء ٠٠ وهم واقفون جنبا الى جنب توحى بنجاح المهمة التى أتى من أجلهـا جواهر .. وذلك مما جعلنا نوقن انه استطاع تخفيف الاحقـاد المريرة التى كانت سائدة ٠٠ ولكن هذه الفكرة ما لبثت آن تبددت عندما كشف المستقبل بوضوح عن فشله فى مهمته ٠٠ فبعد شهر واحد من زيارتنـا طردت حكومة سيلان من خدمتها ثمانمائة موظف من الهنود واعادتهم الى الهند ٠

لقد أحببت سيلان ، وأحببت كل شىء رأيته فيها ٠٠ فقد كان لدينا الوقت لزيارة معالم المدينة بالرغم من كثرة مشاغل جواهر٠٠ رأينا بعض المعابد الجميلة والحدائق الغنـاء ٠٠ ولكن الشىء الذى أثارنا حقا ٠٠ هو كرم الضيافة الذى قوبلنا به أينما ذهبنا ٠٠ فقد كان الهنود والسنغال يتنافسون على اغراقنا بكرمهم ٠٠ وكنت حينئذ أتعجب كيف يكون بين هؤلاء الناس الطيبين خلافات تؤدى الى مثل هذه المشاكل ٠٠

وبالرغم من عدم وجود أى قانون فى سيلان يحرم اشتغال المرأة بأى عمل ٠٠ الا أننا بعد وصولنا مباشرة وبعد أن كللونا بالزهور ذهب جواهر بصحبة مضيفنا الى جناح الرجال .. أمـا أنا فقـد أخذتنى زوجته الى المكان المخصص للنساء ٠٠ وكان وقت تنـاول الطعام هو الاستثناء الوحيد الذى يسمح بموجبه بالاختلاط وذلك لفترة وجيزة ما نلبث بعدها أن نفترق ثانية ٠٠

لم تكن عندنا من قبل فى الهند حركة نسائية لإعطاء المـرأة حقوقها السياسية .. بل كانت هناك بعض المؤسسات النسـوية التى اهتمت بالاصلاحات الاجتماعية ٠٠ ثم جاءت الحركة القوميـة فكانت تلك هى الدفعة القوية لان تنال المرأة حريتها ومساواتهـا بالرجـل ، قررت المرأة أن تكافح بغير عنف ، وذلك يكون فى وقوفها الى جوار زوجها ٠٠ وكانت عقيدة غاندى هى التى أنارت الطريق أمامهن فى القضاء على العادات البالية وخدمة وطنهـن فى نفس الوقت ٠٠ وسرعان ما تدافعت ألوف من النساء من عزلتهن لمواجهة الصعوبات ، والاخطار ، والسجن ، والموت ، ونالت المرأة أخيرا حريتها السياسية والاجتماعية ..

فى سيلان أينما ذهبنا كانت ألوف مؤلفة من الناس تأتى لرؤية جواهر وسماع كلماته .. كان معظمهم من العمـــال التأميليين .. من الرجال والنساء الذين يعملون فى مزارع الشاى وغابات المطاط .. كانوا يقفون على جانبى الطريق لساعات طويلة دون ان يشعروا بالضجر وذلك لكى يلقوا نظرة واحدة على جواهر ..

وكنت عندما أجلس فى السيارة أرقبهم أو عندما أقف بينهم بجانب أخى كنت أحس أن وجوههم تشع بالحب والثقة نحو هذا الذى أتى من وطنهم القديم حاملا رسالة الامل والسعادة .. لقــد جعلتهم هذه الزيارة يشعرون بأنه رغم بعدهم عن مسقط رأسهم فان أحدا لم ينساهم ..

وكنت أسائل نفسى عند رؤية أخى منهك القوى بعد يوم شاق حافل .. هل يستحق ذلك منه كل هذا الاجهاد ؟.. وسرعان ما كانت تزول دهشتى حينما أرى هذه الوجوه من حـــولى .. فأى صعوبة تستحق أن تخاض ما دامت تحمل فى طيـــاتها .. الحب والاطمئنان ..

وبعد مقابلات لا حصر لها ، واجتماعات ، وجولات فى المدينة .. بعد عشر أيام من النشاط الدائم .. انتهت زيارتنا .. أو على الاصح انتهت زيارة جواهر .. فقد انتظرت أنا لمدة اسبوع اخر رجعت بعده الى بومباى ..

وبمجرد عودة جواهر الى الهند قرر أن يذهب الى الصين .. وذهبنا نحن .. راجا والاطفال وأنا الى الله أباد نسأل له البركة فى رحلته .. لقد كان حلم جواهر دائما أن يذهب الى الصين فالبلاد العريقة لها سحرها دائما بالنسبة له .. وقد سعدت حقا بأنــه استطاع أخيراً أن ينال أمنيته .. وكانت زيارة قصيرة .. اضطر أن يقطعها فجأة بسبب نشوب الحرب .. وعـاد الى بلاده مملوءا بالاعجاب بشجاعة الشعب الصينى .. رجع مفتونا بتصميمهم على الدفاع عن وطنهم مهما كلفهم ذلك .

وفى سبتمبر عام ١٩٣٩ أعلنت الحرب بين انجلترا وألمانيا .. ودخلت الهند فى هذه الحرب رغما عنها وعن شعبها .. وكنا فى

بادىء الامر ننظر الى الاحداث بقلق وترقب آملين أن يكون فى ذلك نهاية الاستعمار .. فربما تقوم الهند من بين هذه الازمات وهذا الصراع حرة .. جديدة .. وبذل غاندى وأعضـــــاء الكونجرس حينذاك أقصى جهد لمساعدة البريطانيين بصدق واخلاص .. وكنا نحن نريد أن نعرف ما هو سبب تلك الحرب .. ولكن ما من مجيب .. وأخذ ينمو فى قلوب الملايين احساس بالضياع أو خيبة أمل كبيرة فى بريطانيا التى كانوا يأملون ، أن تغيرهـــا تلك الفترة الحرجة التى تجتازها ..

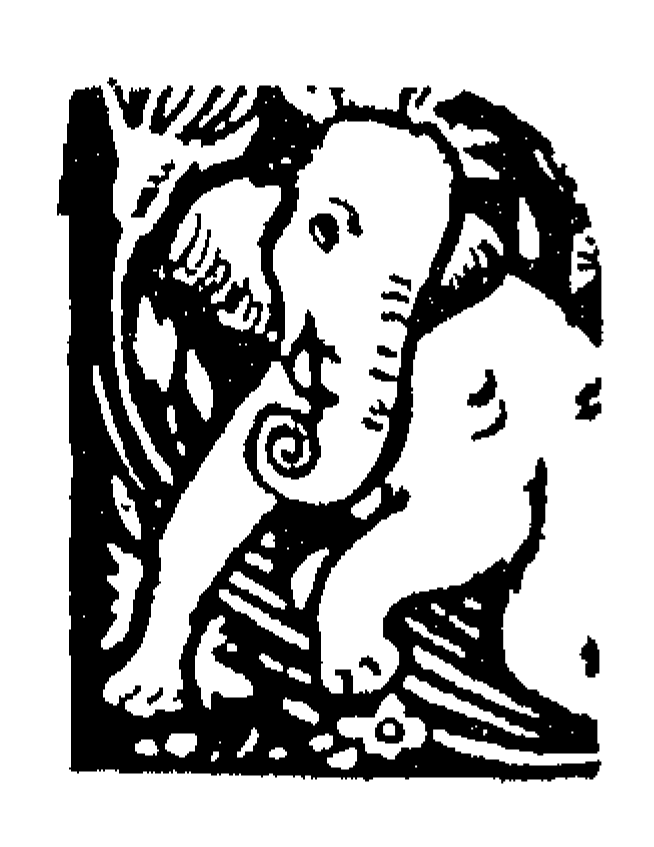
وفى عام ١٩٤٠ لم يجد غاندى بدا من المقـــاومة الفردية .. وكان ذلك بمثابة احتجاج قام به نيابة عن الهند كلها .. وكان أول فدائى اختاره غاندى ليقوم بالمقاومة السلبية هو فنيوباجيف الفدائى الكبير .. أما ثانى الفدائيين فكان جواهر ، ولكنه قبل أن يقوم بأى دور فى هذا الشأن اختطف أثناء عودته من وآردا الى الله أباد وأرسل الى جورا خبور لتتم محاكمته .. وحكم عليه بأربع سنوات مع الشغل .. وكان حكما قاسيا أذهل الهند كلها ولكنه رغم ذلك جعلها تصمم أكثر من ذى قبل أن تحارب الى النهاية .. الى النهاية المريرة ..

وكان راجا فى طليعة الذين ذهبوا للتطوع ، وعندما ســـأل غاندى أن يسمح له بالذهاب أجاب بأننى أنا التى يجب أن أوافق أولا .. وانني ان لم تكن لدى الرغبة فانه يفضل ألا يكون مصيره أى راجا الى الســـجن .. ورغم كل المآسى والمحـــن التى كانت تحوطنا .. وافقت على ذهابه للتطوع فقد كنت أعرف انه لن يهدأ له بال حتى يشارك بنصيبه فى المقاومة ..

وبعد شهر من القبض على راجا كتبت خطابا الى بابو اســـأله السماح لى أنا نفسى بالتطوع فقد كان شيئا منغصا أن يظل الانسان بعيدا عن المعركة .. ولكنه رفض السماح لى بذلك حيث أن أطفالى كانوا ما يزالون صغارا وفى حاجة الى الرعـــاية ، ولم يكن أمامى بد من الرضوخ الى قراره هذا ..

أحسست بوحشة شديدة نحو راجا فى مدة سجنه ، فقدكانت هذه هى المرة الاولى التى نفترق فيها أكثر من اسـبوعين أو ثلاثة وقد كانت الزيارة مسموحة لنا كل أسبوعين •• وكنا نتبـادل الرسائل على فترات معينة ••

وبالرغم من كثرة الاصدقاء من حولى وحسن معاملتهم لى الا أنى كنت أحس بالوحدة .. حتى أبنائى افتقدوا اباهم ورغم صـغر سنهم كانوا يفخرون به •• وانى لاذكر مرة بعد أن كنا فى زيارته •• رأيت الدموع تنهمر من عيونهم رغم محاولتهم مقاومتهـا •• بكوا لاننا حرمنا فى ذلك الوقت حتى من مقابلته على هذه الفترات المتباعدة •• هذا الحرمان الذى ولد الاسي والمهانة حتى فى نفوس الإطفال الصغار ••





ان جيوش امبراطوريات العالم بأسره
لا تستطيع أن تقهر روح رجل واحـد
مخلص .. وهذا الرجل الواحد هــو
الذى سيسود ..

تيرنس ماك سوينى

- ١٠ -

قضى جواهر احد عشر عاما من طفولته وحيد والدى ، كانا يدللانه أثناءها بكثرة ، وخاصة أمى ·· لم يكن يذهب الى المدرسة بل كانوا يحضرون له مدرسين خصوصيين ·· لقد نشأ طفلا وحيدا لعدم وجود اخوة أو أخوات له لمدة طويلة ·· ولحسن الحظ انه رغم هذا التدليل نشأ يحب النظام .. وهذا مما لم يجعله مغترا بنفسه ··

كان جواهر معجبا بوالدى حتى فى فترة طفولته ·· لقد كان بالنسبة اليه نموذجا لكل ما هو رفيع ·· كان نموذجا للشجاعة ·· والقوة ·· وكان طموحه يدور حول أمنيته فى أن يصبح مثل والدى ··

ورغم هذا الحب وهذا الاعجاب الا آنه كان يخافه بشدة ·· كان يضع فى اعتباره دائما حالة أبى النفسية ·· فقد كان ضحية لها في احدى المرات وهو لا ينسى ذلك أبدا ·· ونحن نعلم جميعا بالرغم من ذلك أن أبى لم يكن يعاقبنا دون وجه حق ·· وعلى أى حال فقد استطاع على مر السنين ·· استطاع أبى أن يتحكم فى أعصابه وألا يطلق لثورته العنان ··

وهكذا نشأ جواهر ·· طفلا خجولا حساسا ·· يختار أصدقاءه ممن أكبر منه سنا ·· وقلما كان يصادق من هم فى مثل سنه ·· وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره سافر الى هارو ومنها الى كامبردج حيث أنهى دراسته وعاد الى الهند عام ١٩١٢ ·· وكانت هذه هى المرة الاولى التى أراه فيها ··

لقد ظل أخي غريبا بالنسبة الى عدة سنوات تقلبت أثناءها بين حبه والإعجاب به •• بل وكراهيته •• وبعد فترة عنـــدما بدأت حركة المقاومة السلبية وأقحم جواهر نفسه في ميدان السياســـة عرفته أكثر من ذى قبل •• وكان اعجابى به يزداد كلما تكشفت لى حقيقة شخصيته •• هـــذا الذى كنت أظنه يوما ـ خطـــأ ـ مغرورا ••

ان معاملة أخى لنا كأخ أكبر اغاية فى الرقة فرغم فارق السن الذى بينه وبيننا ـ أختى وأنا ـ فهو لا يغلظ فى سياسته معنا كما يفعل الاشقاء الكبار •• فهو أن لاحظ خطأ بجانبنا ينبهنا له برقة وحذر بحيث يجعلنا نشعر به نحن •• انه ليس أخا كبيرا فحسب لكل منا سوارب وأنا .. بل هو صديق عظيم .. وزميل جعلته عاطفته القوية وحسن تفهمه للامور شيئا قيما بالنسبة لنا ••

اننا نعتبره كما كان والدنا لنا من قبل •• دعـــامة من القوة نستند اليها ونحتمى بها عند ما تواجهنا مشاكل الحياة ومضايقاتها •• انه نادرا ما يقدم النصح ولكنه على استعداد دائما لان يساعد عندما تكون المساعدة لازمة وعندما يكون الارشاد واجبا ••

ان الانسان يستطيع أن يضع فيه ثقتـــه دون أن يخاف أن يسخر منه •• هو انسان ملئ بالانسانية ولا تعوزه القدرة على فهم مواضع الضعف فى الاخرين ••

كان على أخى أن يرعى شئوننا ـ أمى وأنا ـ بعد موت أبى •• فقد تزوجت سواراب •• وأصبحت تعيش فى بيتها •• ولما أصبح جواهر هو المسئول عن عائلتنا الصغيرة لم يشأ أن يشعرنا ـ أمى وأنا ـ بأننا نعتمد عليه كما هى عادة الناس فى الهند •• وفعـــلا لم نشعر بهذا الاحساس وانما هو الذى كان يشعر به دائما •• وان ذلك واجبه ••

لم يترك لنا أبى وصية بعد موته •• ولم نكن نحن نتوقع ذلك •• فقد كان هذا الفعل منافيا لطبيعته ، وكانت هناك أشياء كثيرة تشغل بال جواهر •• كان يظن اننى لن أتصرف بطبيعتى كما كنت فى حياة أبى ، ولذلك فلن أطلب ما أحتاج اليه •• وعندئذ كتب الى خطابا يقول فيه انه يود أن نعتبر نفسينا ـ أمى وأنا ـ المالكتين

الحقيقيتين لاناند بوان ، وكل ما تركه أبى •• وانه سوف يقوم فقط بالاشراف على شئوننا •• وألا نعتبره أكثر من ذلك ، فهو لا يحتاج الكثير هو وعائلته ، وأكد اننا يجب ألا نتردد فى عمل أى شىء وأن نسير كما كنا فى حياة أبى وأن ننظر اليه فقط على أنه على استعداد لمساعدتنا وقت الحاجة •• انى لا أعتقد أن هناك أخا يفعل هذا الذى فعله أخى •• انه جواهر فقط الذى يستطيع ذلك فهو يعيش دائما لمثاليته ولا يحيد عنها ••

لقد ورث جواهر عن أبى حدة المزاج .. انى لاذكر مرة وأنا فى الرابعة عشر من عمرى انه أراد مراجعه دروس الرياضة معى وقد كنت أكرهها كثيرا ، لم أسر طبعا لهذا العرض ، ولكن لم يكن هناك خلاص •• وكنت فى هذه الايام أجهل مدى ثورته على اذا فقد أعصابه •• وبدأت الدروس •• وأحرزت فيها نجاحا كبيرا فى بادىء الامر فقد سحرتنى الطريقة التى كان يعلمنى بها جواهر •• وانقلبت الآية •• أصبح العلم الذى أكرهه من صميم قلبى •• أصبح الشىء المفضل عندى ، حتى اننى كنت أنتظر بشغف تلك الساعة التى أقضيها مع جواهر فى استذكار الدروس ••

ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان .. فبمجرد ان شعرت بالطمأنينة وعدم الخوف منه تغيرت الامور •• وفى أحد الايام — وأشهد أنى كنت غبية فى ذلك اليوم — لم أستطع تذكر أى شىء •• مما أدى الى اثارة جواهر — وأنا طبعا لا ألومه — وبدأ يثور على •• وكانت هذه الثورة كفيلة بأن تقضى على كل فكرة فى رأسى •• ووقفت كالبكماء ، وصرخ فى وجهى بعدة كلمات ألقت الرعب فى قلبى واستدرت وأنا كالمذهولة محاولة الذهاب عنه ، وأنا أحس بالتعاسة ، وان شيئا ما جرح كبريائى ، فليست جريمة أن ينسى الانسان درسه •• وترقرقت الدموع فى عينى رغم محاولاتى اخفاءها •• وانفجرت رغما عنى وأنا أجمع كتبى ، عندئذ وقد لمح دموعى زال غضبه فجأة وصفح عنى — ثم أحاطنى بذراعيه ، واعتذر لى •• ولكن ذلك لم يكن سببا كافيا لرجوعى الى مراجعه دروسى معه مرة أخرى بعد هذه الواقعة ، ان الذين لا يعرفون جواهر معرفة قوية يتصورون انه ليس له هم فى الحياة غير السياسة والقراءة •• والكتابة •• حقا ان هذه الاشياء الثلاثة تأخذ من وقته الكثير

.. ولكنه لديه هوايات أخرى لا يستطيع أن يخصص لها ما يبقى من الوقت انه عندما يفرغ من أعماله السياسية يهرع الى القراءة .. وهو يقضى بعض الاحيان فى الكتابة أيضا ولو أنه يمارسها دائما وهو فى السجن .. وهو فارس ماهر .. ويحب السباحة ولكنه قليلا ما يجد الفرصة للاستمتاع بها .. وهو قلما يذهب الى المسرح أو السينما .. انه لا يفعل ذلك الا اذا أرغمناه على الذهاب وكان هناك شيء ممتع حقا .. وهو يكون فى أحسن حالاته عندما يجلس بين الاطفال فى مختلف الاعمار .. فهو مغرم بالصغار وهم يعشقونه .. اذا كان متعبا أو مشغولا لا يبخل بالاجابة على سؤال لاحدهم مهما كلفه ذلك لكى يرضى حب استطلاع الصغير ..

وانه لمنظر جميل حقا أن نراه بعد يوم شاق .. مسترخيا بين أحفاده الصغار وغيرهم من الاطفال .. فى تلك اللحظة .. تتخلى عنه متاعبه ومشاغله ، ويصبح كأنه هو نفسه طفل بين هؤلاء الاطفال يمرح ويلعب وسطهم مستمتعا بكل جوارحه كما يفعل الصغار .. وهذا أمر لا يأتيه الكثيرون منا فنحن دائما لانسقط من اعتبارنا المرحلة التى بلغناها من العمر .. وانما هو يستطيع ذلك لانه بسيط فى مشاعره ويحس بالانسانية .. ولذلك يرى فيه الاطفال زميلا لهم يحبونه من قلوبهم ..

و لعل ميزة كبرى نجدها فيه وهى انه لا ينسى أية مناسبة من المناسبات العائلية المحيطة به .. سواء أعياد الميلاد أو غيرها فهو يتذكرها .. سواء كان مشغولا ، أو متعبا ، أو خارج البلاد وحتى وهو فى السجن .. وهذه الاشياء البسيطة هى التى تجذب نحوه قلوب المحيطين به .. أذكر فى أحد الايام أن عيد ميلادى حل طبقا للتقويم الهندى يوم ١٩ اكتوبر عام ١٩٣٠ وتذكره جواهر بعد أن قبض عليه فى نفس ذلك اليوم ..

وبعد أيام قلائل أرسل الى خطابا يقول :

« لقد أصدرت الحكومة البريطانية أمرا بالقبض على وبالتالى نفذ ذلك يوم ١٩ أكتوبر .. وقد أنسانى ذلك حادثة هامة وقعت فى ذلك اليوم .. وان الهدية الجميلة القيمة التى كان يجب أن

أقدمها الى أختى العزيزة فى ذلك اليوم ·· لا يمكن أن تقدر ·· واننى أبادر بالتفكير عن هذه الهفوة التى ارتكبتها ·· أرجـــو أن تذهبى الى أية مكتبة ، وانتقى منها بعض أجزاء تجمع بين حكمة القدماء ، وايمان العصور الوسطى ، والشك الذى يدور فى عهدنا الحاضر ··

ولمحات المجد التى تلوح للمستقبل ·· اقرئى هذه الكتب التى أشرت اليها ·· واصنعى منها مدينة سحرية ·· مليئة بالاحلام ، والقلاع ، والحدائق المزدهرة ، والمياه الجارية ·· حيث الجمـــال والسعادة ·· حيث لا مكان للمنفعات التى يعانى منها عالمنا الذى نعيش فيه ·· وعندئذ ستكون الحياة محاولة ضخمة تحوطهـــا السعادة ·· مغامرة لا تنتهى لبناء تلك المدينة من الســـحر ·· واطردى منها كل القبح والحزن الذى حولنا » ··

عندما عاد جواهر من انجلترا ، كان شابا مثقفا جذابا ·· ولكنه كان مغرورا ومدللا الى حد ما كما كان يجب أن يكون عليه أبنـاء الاثرياء · ·وحملت اليه الاعوام التالية كثيرا من التجارب وخيبة الامل ·· بل كانت مليئة بالمآسى ·· ولكن ذلك كله ساعد عـــلى تكوينه حتى أصبح يحتل مكانة فى قلوب الناس أكثر من ذى قبل ·

ولقد أثر تعليمه الغربى على شخصيته تأثيرا محسوسا ، حتى إن الناس كانوا يظنونه أوربيا أكثر منه هنديا وذلك من مظهـره الخارجى ··

ولكن المحنة السياسية والاخلاقية التى يجتازها العالم فى سنى الحروب والمجاعات دفعت معظمنا ، وعلى الاكثر جواهر الى الاصول العميقة التى ألهمت النـــاس فى الهند والصين ·· وأصـــبحت شخصيته الان تستمد قوتها من الجذور المتأصلة فى بلاده وتزداد صلابة من عظمة ماضيها ·· وان أكبر دليل على القيم الهندية فيه ·· راحة الضمير ، وبعده عن الاحزان بالرغم من خيبات الامل التى منى بها ··

لقد اجتمع فيه الشرق والغرب ·· الشرق ينير له طريق الحياة ·· والغرب يوسع ادراكه فى فهم ما يحرك هـــذه الحياة ·· أن

قوميته الثائرة تكمن فى أعتقاده الراسخ بأن الحـــرية الحقيقية لشعبنا ·· لا وجود لها مع استبداد الامم الاخرى وضغطهـــا على الشعوب ·· ان الاحداث فى أى مكان تحرك عقله الحساس سواء فى آسيا أو أوروبا ·· وهو يشعر بها كما لو كانت فى الهند فهو حامى الحرية وهو دائما على أهبة الاستعداد للدفاع عنها بكل قوته اذا ما تهددها أى خطر ··

هناك من يظنون جواهر مغرورا مستبدا ـ وهم يكرهون ذلك فيه ـ وهو حقا يبدو كذلك فى بعض الاحوال ولكن طبيعته تخالف ذلك تماما وهو أبعد ما يكون عن هاتين الصفتين ··

انى أعتقد انه يكون أكثر هدوءا لو بعد قليلا عن مسرح الحياة العامة ، ولكن هذا غير معقول ·· ان له شخصية حالمة ، فعندما يكون متعبا ينظر الى الفضاء مسترخيا ، ويستطيع المرء أن يلمح فى عينيه نظرة حالمة وكأنه يعيش فى عـــالم آخر ·· وفى بعض الاحيان تحوم فى عينيه نظرة حزينة ·· وفجأة يتغير وجهه الشاب ـ رغم أعوامه الثلاثة والخمسين ـ سرعان ما يتغير هذا الوجه وكأنه تعدى عمره بكثير ··

لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لجواهر ·· وقد تركت المتاعب والتضحية أثرها الواضح عليه كما فعلت مع كل الذين خاضــوا هذا الغمار ·

وهناك من الناس من ينتقد سياسة جواهر ، ويجد الأخطاء فى أفعاله ·· وهؤلاء اما انهم لا يفهمونه أو انهم يعرقلون طريقه ·· انه انسان وله أخطاؤه وضعفه كما للبشر أجمعين ·· ولكن هناك صفة ينفرد بها وهى أنه لا يتراجع عندما ترى الاغلبيـــة ذلك ·· وهنا تكمن عظمته ·· واذا كانت الهند اليوم تقـــدس جواهر ، فليس ذلك لقوته ، وشجاعته ، وخصاله الطيبـــة فحسب ، ولكن لمشاعره الانسانية ·· انه لا يجعل من نفسه بطلا ولا شهيدا ·· ولكنه انسان كان عليه أن يخدم بلاده فى محنتها ، ولسوف يواصل القيام بذلك الى النهاية ·· أنه لا يعتبر الذهاب الى السجن تضحية كبرى ، أو حتى شيئا يهتم به الناس ·· بالرغم من أنه قضى نصف

حياته تقريبا فى السجن ٠٠ وهو يبرر ذلك بأن السجن هو الجزء المحتم عندما نحارب ضد السيادة الاجنبية من أجل حريتنا ٠٠

وكتب لى مرة من السجن يقول :

« ان الحبس لأمر تافه ٠٠ فى هذا العالم الذى تهزه اليوم الاحداث الجسام ، بل أعتقد أن له قيمة ما لما يقوم عليه من نظام قاس ، ولكن ما الداعى لهذه القيمة ما لم يوجد الدافع الداخلى للقيام بهذا النظام ٠٠ ولو وجد الدافع القوى بجانب الامور الاقل أهمية لاستطعنا الحصول على شىء ذى قيمة حيوية ٠٠ ان الذهاب الى السجن بين حين واخر ليس شيئا هينا ٠٠ ولن يجد الانسان هناك فراشا مغطى بالازهار ٠٠ يذهب اليه للاستجمام من آن لآخر ٠٠ وهناك من يظن أن مجرد ذهاب الانسان للسجن مرة يتعود عليه ٠٠ وهذا رأى خاطىء ، ويكفى قضاء شهور قليلة فى السجن للقضاء على هذه الفكرة الخاطئة ٠٠

وهناك المتاعب الصحية التى يجب أن يتوقعها كل من يتأهب للنزول فى السجن ٠٠ ولا يمكن أن نغفل المتاعب النفسية التى تنتاب الإنسان من الروتين المستبد فى حياة السجون ٠٠

ان فراق الاحباء على أن يتقابلوا عندما يود المسئولون يشعر النفس بالالم والمرارة ٠٠ انى أشهد أن من الاشياء العظيمة التى اكتسبها جواهر هو استطاعته الصبر على حياة السجون دون ألم

وقد كتب لى مرة يقول انه ان كانت هناك قوة دافعة لعمل أى شىء فعلى الانسان أن يخوض أى صعوبة أو مشقة لبلوغ هدفه ٠٠ وعندما كنا نضطرب عندما كان يقبض عليه كان يشجعنا ويقوينا على مواجهة ما يحدث باستخفافه به على صعوبته ٠٠

وفى عام ١٩٤٠ حكم على جواهر بأربع سنوات أخرى مع الاشغال الشاقة ٠٠ أذهل هذا الحكم كل من سمع به ، بل لقد كان لطمة قوية لنا أيضا نحن الذين تعودنا على مثل هذه الامور ٠٠ تألمنا له كما لم نتألم من قبل لاى حكم صدر ضد جواهر ٠٠ لقد اضطربت أوصالى من جراء ذلك وأرسلت له خطابا أسأله اذا كنا

نستطيع زيارته ـ راجا وأنا ـ فى ديهــران دان ٠٠ وقال لى ردا على خطابى :

« اننى طبعا أرحب بكما ٠٠ أما عن راجا فانى أريد رؤيتــه فانى لم أره منذ زمن طويل ( كان راجا بعيدا ضمن أفراد المقاومة السلبية ) وقد ساءتنى الحالة التى وصل اليها بعــد الحكم على ، وأنت أيضا يا عزيزتى » ٠

اننى لم أشعر براحة البال كما أشعر بها فى الايام الاخيرة ٠٠ هذه الراحة التى تعتبر مجدا فى عالمنا المجنون ٠٠ لقد مرنت نفسى على أن أصم أذنى عن كل ما يدور من نشاط حــولى ٠٠ أرجو ألا تقلقى من أجلى بلا داعى ٠٠ ان الحياة أصبحت شاقة بالنسبة لنا جميعا ٠٠ أما الماضى الهادىء فقد ذهب مع الايام الخوالى ٠٠ متى ستعود هذه الايام ، أو حتى هل ستعود ؟ هذا ما لا يعلمه أحد ٠٠ يجب أن نعود أنفسنا على هذه الحياة كمــا هى ٠٠ ولا نتطلــع إلى غيرها ٠٠ ان المتاعب الجسمانية شىء هين اذا ما قورنت بالعواصف التى تجتاح العقل ٠٠ وسواء كانت الحياة هادئة أو قاسية فعــلى الانسان أن يجعل منها شيئا ما ٠٠ أما أن تكون الحياة لهوا فحسب فهذا ما لا تحمد عقباه ٠»

لقد علمنا أبى منذ طفولتنا ألا نخاف من اجتياز الازمات ، أو مواجهة المخاطر ٠٠ لم يكن شعارنا أبدا النجاة أولا ٠٠ وانى آمل ألا يكون ذلك شعار أولادنا ٠٠ كنا نقوم فى كثير من الاحيان بأعمال أو رحلات تكمن فيها الاخطار ، وكان ذلك لا يثنينا عن عزمنا فى السير قدما فى طريقنا ٠٠

أما عن جواهر بالذات فان الخطر بالنسبة له عامل من عوامل الاغراء للقيام بأى عمل ٠٠ ربما كان فى ذلك تصرف طائش ولكن هذا الاتجاه فى الحياة أفضل من أن يقضى الانسان عمره فى خوف من الاقدام ٠٠

وفى مرة كان جواهر فى سجن الييبورن فى كلكتا ٠٠ وقد كنا قلقين بشأنه ٠٠ فلم يصلنا عنــه شىء منذ أن قبض عليــه ٠٠ وتسلمت منه حينذاك هذا الخطاب الذى يعبر تماما عن شخصيته :

« عزيزتى ، أرجو ألا تكونوا قلقين بشـــأنى ، فأنا بخير .. فانى أشعر بالراحة حيث أنا .. سوف أقرأ الكثير فليس هنا فى الحقيقه شيء آخر أفعله .. مجرد القـــراءة والـكتابة والمضى فى الروتين اليومى .. لذلك عندما أخرج من هنا – وهذا طبعا ليس بالقريب – ربما أكون أكثر حكمة مما أنا الان .. أقول ربما أكون كذلك .. وربما لا .. فالحكمة شيء بعيد وصعب الادراك .. ورغم ذلك فهى تأتى فى بعض الاحيان فجأة ، ودون أن نشعر بهـــا .. لذلك سأكون خادما مطيعا فى محرابها ، وربما تفعل بى خيرا فى يوم من الايام .. على أى حال السجن ليس مكانا غير مناسب لان نزلها فنحن نعيش بعيدا عن فوضى الحياة ولا يمكن أن تمتد الى هنا .. وانه لشيء جميل أن نرى حياة الناس على بعد ونحن منفصلين عنهـــا ..

ان جواهر مولع بالنشاط الخارجى ، ولو انه لا يجد الفرصة الكافية للاستمتاع به .. فهو مغرم الى حد كبير برياضة الشتاء ، وكان يقضى الكثير من وقته فى الانزلاق على الجليـــد بسويسرا .. انه يحب فى الطبيعة جمالها الطبيعى الغير متكلف .. فهو نفسه أساسا ابن الطبيعة ..

انه يتوقع من كل فرد أن يفعل الاشياء بكفاءة واتقان سواء فى الرياضة أو فى العمل وهو رئيس قوى صعب، فلقد عملت سكرتيرة له لمدة ستة أشهر ، وكان ذلك فى عام ١٩٣١ ، ورغم استمتاعى بالعمل الا أننى كنت أعيش فى خوف دائم من الوقوع فى الخطأ أو اثارة عصبيته ..

ولحسن الحظ انى لم أقع فى ذلك أبدا ، ولست أدرى ان كان ذلك يرجع لمهارتى أم لحسن الحظ فحسب .. ان الخطيئـــة التى لا يغتفرها جواهر ، أن يكون الانسان مهملا كسولا وغير كفء ..

أذكر مرة كنا فى سويسرا عندما عرض على أن يعلمنى الانزلاق على الجليد ، واختار يوما غير مناسب للدرس الاول .. فلم يكن الجليد قد سقط لمدة يومين وأصبحت الارض زلقة .. وأخذت فى كل مرة أقف فيها أسقط بشدة .. فقد كنت غير قادرة على التحكم فى توازنى ، وهذا ما كان يضايق جواهر ، لقد كان يظننى خائفة

•• وحاولت مرة ثانية ، ولكنني كنت أتعثر فى كل محاولة •• وعندئذ غضب جواهر وقال انني لن أتعلم ولو فى مليون سنة •• أحسست بجرح فى كبريائي ، وسألت صديقا سويسريا ليعلمني •• وفعلا بعد ثلاثه أيام أتقنت الانزلاق دون مساعدة أحد ورغم نبوءة أخي ••

وهناك صفة أخرى يمتاز بها جواهر وهي انه ممرض مثالى •• يساعده فى ذلك دقته ، وتفهمه البالغ للامور ، وصبره الذى لا حد له ••

وأعظم صفاته انه يشكل نفسه حسب الحالة التى يراها •• وهو يجد الراحة والجمال فى الاشياء الصغيرة المحيطة به ، وذلك يعتبر كسبا كبيرا له ••

لقد كتب لى مرة من سجن دهرادان يقول :

« ان حرارة الظهيرة تجعل الثلج يذوب فى كل مكان ما عدا قمم الجبال •• لقد انقشعت السحب وهي تكشف بعض لمحات من السماء الزرقاء العميقة ، هذا الشيء المذهل الساحر •• ان ذلك يأتى عقب المطر فى شمال الهند •• ولكن عندكم مثل ذلك فى بومباى ؟ ربما ! ولكن أحدا لا يشعر به ••

كان المساء اليوم جميلا بشكل غير عادى •• والسحب تلهو مع الشمس الباسمة •• تأخذ أشعتها وتقذف بها فى اهمال ، الالوان الغريبة تأتى وتذهب ، أشياء خيالية تظهر ثم تختفى وفوق كل ذلك تظهر هذه الالوان المبعثرة ، وفوق قمم الجبال ألمح لونا أحمرا متوهجا ذكرنى بمنطقة خيبر ، وقطع الجليد تظهر فى الضوء ثم تختفى •• وأخيرا ظهر القمر وهو مكتمل فزاد المنظر جمالا •• »

بالرغم من ابتسامة جواهر التى لا تفارقه ، وبالرغم من سعادته البادية •• فقد نال نصيبه من الصدمات والاسى •• لقد فقد زوجته الشابة وهو فى حاجة الى حبها ورعايتها •• وكان فى ذلك قصة محزنة له ، ولو أنه كان يخفى ما يكن من اللوعة والحزن •• وكان يفقد أعصابه لمدة ثوان قليلة يعود بعدها الى وقاره وهدوئه •• وقد أدخل نفسه فى غمار السياسة وهو فى سن صغيرة •• ولم

يكن يظن انها ستصبح مهمة حياته ·· وبالتدريج وجد نفسه محمولا مع تيار الاحداث حتى أصبح فى غمارها ، وأعتقد انه لو منح الحياة مرة أخرى لاختار أن يفعل نفس الشيء ولكن بطريقة مختلفة ·· وربما يتهمه بعض الناس بأنه يعيش فى الاحلام ، وينظر الى الامور الحديثة نظرة حلم ، وهذا لا يتفق مع وظيفته ··

ربما يكون الاتهام صحيحا أو لا يكون ·· وانما هناك شيء لا ينكر وهو أن جواهر انسان خيالى كبير ·· انه يحلم بالاشياء العظيمة التى يحملها المستقبل ·· يحلم بأنها ستتحقق لا على يديه ، وانما على يدى أحد غيره ·· ان أحلامه قلما تكون شخصيته ، فهى تدور كلها حول الهند ·· الهند التى لا يدور بخلده أدنى شك فى عظمتها ·· والتى هو على أتم استعداد لان يهب حياته لخدمتها ··





اخذت أخطو مثل الشبح حول الاماكن
التى كنت أزورها فى طفولتى .. فبدت
الارض كأنها صحراء على أعبرها ..
حتى ارى تلك الوجوه الحبيبة
كيف ان بعضهم قد مات .. وبعضهم
تركنى ،
وبعضهم قد انتزع منى .. الكل
رحل ..
الكل .. نعم الكل ذهب .. تلك
الوجوه القديمة الحبيبة ذهبت ..

تشارلز لامب

- ١١ -

منذ ســـــنة أو أكثر ، كنت فى طريقى الى الله أباد مع طفــلى الصغيرين هالشا واجيت لحضور حفلة زواج انديرا ٠٠ ولم يستطع راجا أن يصحبنا بل كان سيلحق بنا بعــد فترة ٠٠ كانت الرحلة مألوفة لنا ٠٠ بل كنت أعرف معظم معالم الطريق عن ظهر قلب ، فقد سافرت فى هذا الطريق مرات كثيرة في خلال التسع سنوات والنصف السابقة ٠٠ ولم أكن أشعر بالراحة فى كل مرة خـــوفا مما لعله أن يكون عند وصولى ٠٠ فكان لا بد من حدوث كل ما هو محزن وغير متوقع ٠٠ فكنت اما أن أجد أمى مريضة أو أجد انه قد قبض على جواهر ، وهكذا ، ولكن فى هذه المرة كنت أشـــعر بالسعادة لهذه الزيارة فان المناسبة نفسها التى أنا ذاهبة من أجلها توحى بالسعادة ٠٠ فأنا ذاهبة لارى زفاف ابنة أخى التى هى حبيبة وعزيزة على ٠٠

وصلنا الله أباد فى وقت متأخر من الليل وركبنا العربة التى جاءت لتقلنا ٠٠ وبعد خمسة عشر دقيقة رأينا آناند باوان على بعد وأحسست فى تلك اللحظة كما أشعر دائما بعظمـــة الحب الذى أكنه لبيتنا القديم ٠٠ كان البيت مليئا بالحركة يلمع بالاضواء رغم الساعة المتأخرة التى كنا فيها ٠٠ كان الناس كثيـــرون والخدم يذرعون البيت جيئة وذهابا ٠٠ فكنا نسمع فى كل حجـــرة فى البيت أصوات الناس وضحكاتهم وهكذا بعد سنوات طويلة استطاع آناند باوان أن يحمل معنى السعادة مرة ثانية ٠٠

واتجهت العربة ببطء نحو البوابة الكبيرة ودخلت فى الممر المؤدى الى المنزل ٠ وبمجرد وقوفها قفزت من العربة وأخذت أبحث

عن أخى وقد نسيت أطفالى ·· ولكنى لم أكد أخطو خطــوات قليلة حتى جاء يستقبلنى وأخذ يعانقنى أنا والاطفال ··

كنت أحس بالسعادة وأنا أرى مرة ثانية الاشياء القديمة المحيطة بى ومن حولى : جواهر وأختى وكل الاخرين ·· كنت فى كل مرة أعود فيها الى أنّندوان أشعر بهزة فى مشـــاعرى ولكن الى فترة وجيزة ··

كنت أحس بغياب وجوه حبيبة الى نفسى وان هناك أشـــياء جديدة حلت محل القديم ·· وحينئذ تترقـــرق الدموع فى عينى ولكنى أستطيع اخفاءها ·· أما فى هذه المرة فقد صممت على ألا أظهر حزنى فى هذه المناسبة السارة ، وبالرغم من فعل السنين فى البيت الذى كان يرفل فى السعادة والاطمئنان فأننى كنت أشعر مع ذلك بالسرور لرؤية أخى والاستمتاع بحبه ، وأن ألقى عنـاية أختى وأن أعود من جديد فتاة فى الثامنة عشرة من عمرى خالية من المسئولية فى هذه الحياة ··

بدأ يوم الزفاف مشرقا جميلا ·· وكان الجميـــع مشغولون فى اعداد كل شىء للاحتفال ·· وكنت أرى النســـاء من العائلة يتزاحمن على غرفة العروس يلقون بنكاتهم حولها ويغيظونها كمـا تفعل الفتيات الصغيرات ·· وقد جاءوا أيضا يرونها وهى ترتدى ثياب عرسها من الخادى الذى صنعه لها والدها وهو فى السجن ··

وجلست العروس وسط هؤلاء الناس متظاهرة بالهدوء وهى تحاول اخفاء قلقها وكانت عيـون المئات متجهة نحو حجرتهـا ·· ومع جمال وجهها العادى الا أنها فى ذلك اليوم كانت تبدو رائعة·· أكثر من أى يوم مضى ·· كانت رقيقة وملائكية ، كانت تضـحك وتحدث من حولها ولكنه سرعان ماكانت تلوح فى عينيها السوداوين الكبيرتين نظرة حزينة عميقة ، ما هذه السحابة القاتمة التى كانت تعكر صفو هذا اليوم الجميل ؟ أهى أشتياق للام الشابة التى لم يعد لها وجود ·· التى أحدث غيابها فراغا لم يملأه شىء حتى هذا الحادث السعيد ·· أو ربما فراقها عن ذلك الاب الذى كانت له كل حيـــاته ··

انما ستتركه الآن لحياة وحيدة قاسية كما لم تكن من قبل ٠٠ وربما كانت تلك النظرة الحزينة فى عينيها نتيجة انفصالها عن تلك الحياة القديمة لتبدأ حياة لا تعلم عنها شيئا ٠٠ ومن يستطيع التنبؤ بما يحمله لها المستقبل فى حياته ؟٠٠ السعادة ؟٠٠ الحزن النجاح ٠ ٠أم خيبـــة الامل ٠٠؟ لقد زاد الســـواد فى العينين الكبيرتين ولكنه للحظات بسيطة سرعان ما استعادتا بعدها نظرتهما الطبيعية اللانهائية ٠٠ واقتربت اللحظة الحاســمة وجاءت انديرا فى رفقة جواهر الى المكان المخصص لمراسيم الزواج ٠٠ حيث كــان العريس ينتظرها ٠٠ ومر الاحتفال بسيطا قصيرا دون مظــاهر متكلفة ٠٠ وجلس العروسان جنبا الى جنب ، وأمامهما جلس والد العروس ٠٠ وبجانبه مقعد خال خاص بالزوجة التى لم تغيب عن باله لحظة واحدة وخاصة فى ذلك اليوم ٠٠ فقد كانت جزءا من كيانه ٠٠

وأحسست بغصة فى حلقى وأنا أنظر الى هــذا المقعد الخالى وما يحمل وراءه من معان محزنة ، وأخذت أفكر كم كانت ستكون سعادتها اذا كانت معنا اليوم !٠٠

أستطيع أن أتخيلها ٠٠ شابة ٠٠ باسمة ٠٠ تلمع عيونهـــا بالفرحة والسرور ٠٠ وتبدو أكبر من العروس نفسها بقليــل ٠٠ ولكنى أخذت أبعد هذه الافكار الســوداء من مخيلتى والا فكانت أفسدت جمال اليوم ٠٠

واستمرت احتفالات الزفاف لبضعة أيام ٠٠ وقلت الاضــواء فى المنزل القديم ٠٠ وبدأ الضيوف ينصرفون بدورهم ٠٠ وبعــد بضعة أسابيع رجعت أنا الاخرى الى بومباى ٠٠

ومر عام ٠٠ ووجدت نفسى فى طريقى مرة أخرى الى الله أباد ٠٠ ولكن لمدة اسبوع واحد كى أرى أختى سوآراب التى خرجت من السجن لمدة اسبوعين بعد تسعة أشهر قضتها هناك ٠٠ ووصلنا الى المحطة التى كانت أقل نظاما من المرة الســـابقة ٠٠ ووجدت فى انتظارى صديقة لى وابنة سوارب الصغيرة .. وفى طريقنـــا الى البيت لم نركب عربة لانه لم يعد لنا عربات فى ذلك الوقت ولكن ركبنا تانجا عتيقة أخذت تزحف بنا على الطريق الوعر

وأخيرا أشرفنا على بوابة أناند باوان ·· وكان المنظــر الذى استقبلنى يختلف عن الذى رأيته منذ عام مضى ·· فليست هنــاك أضواء ساطعة ·· ولا خدم هنا وهناك ·· بل يرزح المنزل تحت ظلام دامس اللهم الا لمبة صغيرة فى الممر وضوء آخر ضئيلا يتسلل من احدى الحجرات ·· لقد كان منزلنا فى ذلك الوقت مقبضــا ، مهجورا وساكنا ··

وعندما رأيت ذلك ملأنى شعور بالخوف واليأس كما لو كنت أضرب فى أرض لا أعرفها ولا أدرى ما ينتظرنى عنـــد منعطف الطريق ··

وأخذت أبحث عن سوارأب وقلبى بين قدمى ·· وعندما بلغت حجرتها قامت تحيينى وتعانقنى ·· ووضعت ذراعى حولها محاولة اخفاء تأثرى لمنظرها الذى تغير كثيرا عما سبق ، فمنذ عام فقط كانت تبدو أصغر من عمرها بعشر سنوات على الاقل ·· انهـــا تقضى الان أسابيع قليلة تعود بعدها الى السجن الذى قضت فيـــه تسع شهور ··

لقد فعل السجن ما فعله بتلك الحبيبة وترك آثاره واضحة على ذلك الوجه الذى يبدو الان عجوزا شاحبا ··

قضيت مع أختى أسبوعا عدت بعده الى بيتى وأطفــــالى ·· وعادت سوارب الى السجن لتقضى مدة أخرى غير محدودة ·· تاركة بناتها الثلاث يرعين أنفسهن على قدر استطاعتهن فى ذلك العالم الذى حل فيه المرارة والضياع محل الامل والسعادة ··

وعندما كنت جالسة فى القطار الذى أقلنى الى بومبـاى كنت أسائل نفسى متى أعود الى أناند باوان وماذا سوف أجد من التغيرات هناك ·· هل سيكون فى المرة القادمة هذا البيت القـــديم الملىء بالضحك والسعادة ؟ أم سيظل هكذا وحيدا منعزلا بعيـــد عن السعادة والمرح ؟ ودعوت ألا يكون كذلك وصليت فى نفسى أن يعود أناند باوان « مرتعا للسعادة » كما كان اسمه فى حياة والدى ··

وعدت الى شقتى الصغيرة فى حالة بائسة ·· لم يعد بيتى ، بيتا بالمعنى المعروف ·· فراغا ليس معنا ·· وأصبح علينــا أن

نمضى فى الحياة رغم قسوتها وأحزانها ٠٠ فقد كان جواهر ومئات غيره ٠٠ بل وآلاف خلف قضبان السجون ٠٠

ففى الاعوام الاربعة الاخيرة كانت الحرب تجتاح الانسانية كلها وألقى بنا فى هذا الخضم ٠٠ نحن الذين سلبنا حريتنا ٠٠ ألقى بنا حتى دون موافقتنا الرسمية ٠٠ قيل لنا انها الحرب التى ستمنح السلام والحرية للبشر أجمعين ٠٠ ومع ذلك فى كل لحظة من هذه السنوات الاربع كنا نسلب حريتنا ، حتى فى أن نوجه رجالنا ومتاعنا تحت قيادتنا ٠٠ وكان شعبنا يتأرجح بين ثقته فى الامم المتحدة وحقده على الاستعمار ٠٠ وحينذاك طلبنا اماطة اللثام عن أسباب هذه الحرب التى يقال انها تجلب الحرية للجميع ٠٠ ولكننا لم نتلق أى رد ، وفى عام ١٩٤٢ وبعد كثير من التردد منحنا وعدا باعطائنا الحرية بعد انتهاء الحرب ٠٠ ولكنه كان وعدا محوطا بشروط لا يمكن لاى دولة فى العالم قبولها ٠٠

ومع ذلك فقد وعدونا الكثير من قبل ولكن واحد من هذه الوعود لم يتحقق — يا لها من سخرية أن يطلب منا اراقة دمنا وجوع شعبنا ومقاساة الاهوال فى سبيل تلك الحرية التى منعت عنا ٠٠

ونحن الان فى منتصف الطريق نحو الكفاح فى سبيل الحرية ونيل حقوقنا المسلوبة ٠٠ نحن نبغى القضاء على الاستعمار ليس فى بلادنا فقط بل فى كل شبر من العالم يعيش فيه الاستعمار ٠٠

ان حريتنا ليست الا نموذجا لهذه القوة التى تبغى أن تخلصنا وتخلص العالم من السيطرة والانفجار ٠٠

وان حركة العصيان الفردية المدنية التى قامت فى عام ١٩٤٠ حددت مطالبنا نحو رغبتنا فى أن تكشف بريطانيا عن غرضها من الحرب ٠٠ لقد كان ذلك دعوة منا للضمير العالمى ولكن دون فائدة ٠٠ وكانت دعوتنا صادقة ٠٠ وكانت جروحنا أعمق ٠٠ وبالرغم من خطورة مواقعنا الامامية فقد أرسل الكونجرس الى الاهالى ليعدوا أنفسهم للتضحية الكبرى ٠٠ فلم تعد المسألة مسألة السلام والحرية للبشر فحسب بل الدفاع عن بلدنا ضد المعتدين الفاشيين وبدأت المقاومة ولكنها لم تقم على أسس صحيحة ، فلقد قبض على

الزعماء قبل أن تنتهى المفاوضات مع الحكومة ·· ان كفاحنا اليوم من أجل استقلال الهند ليس مجرد تعبير عن القومية الضعيفة ·· ولكنها دفعة قوية نحو حرية البشر ·· لقد عارض الناس فى الهند دائما الاستعمار والفاشية وأظهروا ذلك فى مديد المساعدة على قلتها لكل من الصين واسبانيا والبلاد الاخرى ·· وعندما كانوا يعجزون عن المساعدة المادية ·· كانوا يبدون أسفهم نحو الشعوب المغلوبة على أمرها ··

ان الأمل الذى نبغيه فى هذه الايام بل الذى ينظر اليه العالم بأسره هو التغير الشامل للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، أثناء الحرب ·· بذلك فقط نستطيع تجميع شعبنا لمقاومة العدوان اليابانى وبذلك فقط تستطيع الهند أن تساير ركب التقدم وتمنع الاضمحلال الذى سوف يلحق بها ، ان الفوضى تجتاح العالم بأسره وعلينا نحن أن نجعل السلام والنظام يستتب فيه ··

ربما كان ذلك غير ممكنا بالنسبة لنا فى الهند ، ولكن ما دمنا نحمل المشعل لرؤية الحق ·· فسوف يحصل الأخرون على ما لم نستطع الحصول عليه نحن ·· ربما كانت هناك عثرات كثيرة فى طريقنا أو كانت هناك عقبات فى سبيل تحقيق هدفنا المشترك ·· ولكن ماذا يهم ذلك ما دامت تقودنا خطانا نحو الطريق الصحيح وما دامت عيوننا تنظر الى الامام بغير انحراف ··

ان آلافا من النفوس فى أنحاء العالم وخاصة فى الهند لن تذوق الراحة أو الهدوء الا اذا نالت حريتها مهما كلفها ذلك ·· واذا أصبحت المشقة والكفاح هى العمل الوحيد فى الحياة ·· فاننا نرضى بذلك ونسير قدما نحو هدفنا فى خلق عالم أكثر سعادة لابنائنا ما دمنا نحن قد حرمنا من السعادة والاطمئنان ·· كما قال بيدفان باسين فى كتابه « هذا اليوم الوحيد » ··

« سوف يأتى ذلك اليوم الذى يسأم فيه المرء وحدته ويتجه الى أخاه ·· اليوم الذى يعلمنا أن نحس بأحزان الاخرين وأفراحهم ومشاكلهم وآمالهم كما نحس بأحزاننا وأفراحنا ومشاكلنا وآمالنا ·· سوف يجىء قريبا ذلك اليوم الذى يسود فيه الحب والعدالة



الشيء الذى يفتقر اليه العالم ونراه شامخا فى الكواكب التى تظهر فى سكون الليل ولكن حتى هـــذه الكواكب لا تكتفى لان تكون نموذجا لهذين السببين العدالة والحب منذ طفولتى حتى عـــام ١٩١٩ قضيت حياة ناعمة هادئة سعيدة ، وكانت مذبحة جاليانولا باغ هى أول شيء أقلق هدوئى ، لقد جعلتنى أفكر فى أشياء لم أهتم بها من قبل — لقد كانت الصدمة الاولى فى حيـاتى وقد جاء بعدها الكثير ·· كل منها أقوى من سابقة ··

ومنذ عام ١٩٢٠ والاعوام التالية كانت حيــــاتنا غير عادية بالنسبة لجميعنا ورغم ذلك بقيت عائلتنا متماسكة ، وكان هــذا شيئا عظيما ··

وفى عام ١٩٣١ مات أبى وترك موته فى حياتنا فراغا كبيرا ، بل كان ذلك بداية مزيد من المآسى ··

فى عام ١٩٣٦ ماتت كمالا ، وبعد عامين من موتها رحلت أمى عنا هى الاخرى ··

وكنا فى ضيق من الناحية المادية ·· فلم نكن فى رغد من العيش لم تكن الحياة سهلة ميسرة بالنسبة لاحد منا ·· ولكنى أعتقد أن الجيل الاصغر قاس من جراء ذلك أكثر منا ··

وقد زاد فى يأسى الرحيل المستمر والنكبات المتلاحقة ســـواء كانت قوية أو هينة ·· ولكنه كان هناك شيء يهون الامر على ولا يجعلنى أفقد شجاعتى ، هذا الشيء هو الايمان الراسخ والثقة من عدالة مطلبنا ·· إنه ليس مطلبنا فقط بل مطلب الافراد فى جميع أنحاء العالم ·· هذه الفكرة كانت تساعدنى كما تساعد الاخرين غيرى على تحمل الاحزان ومفارقات الحيـــــاة دون أية شكوى أو احساس بالمرارة ··

ان عدم الاستقرار فى الحياة الذى قاسيت منه أنا وعــائلتى وأهل قريتنا سنين طويلة لهو شيء مرهق للاعصاب ·· واننى أدعو وأنتظر الايام القادمة أن توحدنا وتجلب لنا السعادة والرخاء ·· ولكن المســـتقبل لا يبدو منيرا ·· كان أقل ممـــا كنت أنتظره بالراغم من كل هذه الاهوال التى كانت وبالرغم من هذه المحاكمات

التى ربما تنتظرنا بالرغم من الآلام التى كانت صديقة حياتى فاننى لا زلت أنظر الى الاحداث بلا دموع ..

**فبالرغم من ضياعك وخيبة آمالك**

**كونى على حذر .. يا دى ...**

**لا تخجلى من أن يقف اخوتى ..**

**فى وجه الجبابرة القساة ..**

**متذرعين بثوب البساطة الابيض الناصع الذى تملكينه**

**اجعلى تاجك من التواضع ..**

**واجعلى حريتك حـــرية الروح ..**

**واجعلى عرش الله ينمو كل يوم**

**فوق فضاء فقرك المنبســط**

**والآن لتعلمى انه ليس عظيما كل ما هو ضخم**

**وان الكبر لا يدوم**

# كتب للجميع

تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر

الاشـــــتراكات تطلب من

## ادارة كتب للجميع

قيمة الاشتراك عن سـنه أو نصف سـنة

| في | سنة قرشا | نصف سنة قرشا |
|---|---|---|
| مصـــر ... ... ... ... ... | ١٢٠ | ٦٥ |
| السـودان ... ... ... ... ... | ١٢٠ | ٦٥ |
| العـــراق ... ... ... ... ... | ١٤٠ | ٧٥ |
| سـوريا ... ... ... ... ... | ١٤٠ | ٧٥ |
| لبنـــان ... ... ... ... | ١٤٠ | ٧٥ |
| المملكة الاردنية الهاشـمية | ١٤٠ | ٧٥ |
| المملكه العربية السـعودية | ١٤٠ | ٧٥ |
| الـكويت ... ... ... ... ... | ١٦٠ | ٨٥ |
| عـدن ... ... ... ... ... ... | ١٦٠ | ٨٥ |
| حضـــرموت ... ... ... ... | ١٦٠ | ٨٥ |
| اليمن ... ... ... ... ... ... | ١٦٠ | ٨٥ |

رئيس التحرير
أحمد حمروش

سكرتير التحرير
راجي عنايت

مطابع شركة الاعلانات الشرقية


Bibliotheca Alexandrina
06663678